التشكيل الواقعي للاتصال الثقافي
بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية بالواحات البحرية
(العلاقات الاجتماعية نموذجاً)

أمل محمد محمود يوسف

الملخص

تهدف الدراسة التعرف على أثر الاتصال الثقافى بين الجماعات الوافدة والجماعات الأصلية بالواحات البحرية على العلاقات الاجتماعية ، وماأثر العلاقات الاجتماعية (الجيرة – الصداقة – الزواج) بين الجماعات الأصلية والوافدة ، والى أى مدى أثر الأتصال الثقافى على الميل نحو التغيير فى الثقافة السائدة ،**اعتمدت الدراسة على المنهج الانثربولوجى بأدواته المختلفة.**

وتوصلت الدراسة الى العديد من النتائج أهمها:

- هناك نوعا من التكيف بين الجماعات الوافدة والجماعة الاصلية ، وأضحت الدراسة أن كلا الثقافتين تأثرت وأثرت فى الأخرى وأن اختلفت درجات التأثير واحدة لأخرى .
- ساعدت عملية التمثيل الثقافى كالتشابه بين الثقافتين والمشاركة فى الاقتصاد المحلى الى اقامة علاقات وثيقة فى الصداقات وحسن الجوار والزواج مما قد يؤدى الى ضعف الحدود والفواصل بين الجماعات .
- أدى الأحتكاك الثقافى بين الجماعات الوافدة والأصلية الى تغير النمط التقليدى فى حياة أبناء الواحد وخاصة نمط الزراعة .
- كما نتج عن هذا الاتصال الثقافى فى ظهور أنواع جديدة من الجرائم مثل السرقة وتهريب الماشية ، وظهرت أنواع جديدة من التجارقومن المتوقع مستقبلا حدوث صراع فى العلاقات بين الجماعتين نظرا لتزايد أعداد الوافدين من بلاد وادى النيل وارتفاع الضغوط الاقتصادية وكذلك نسبة البطالة .
- فضلا عن مشكلة المياه والصراع عليها بسبب ندرة الأبار الجوفية وجفاف مياهها مما يتطلب وجود ماكينات لرفع المياه من الاعماق البعيدة ، ولذلك يجب تدخل الدولة ومتخدى القرار فى وضع البرامج والخطط الاستراتجية المستقبلية لحل هذه المشكلة .

The Cultural contact Between the Newcomers and the Original Inhabitants in the District of " Bahariya Oasis" The Social relationships as a model

Amal Mohamad Mahmoud

The study aims at recognizing the effect of the cultural contact between the newcomers and the original in habitants on the social relations in Bahariya Oasis district. It also sheds light on the social relationships like friendship, marriage and neighbourhood and to what extent the cultural contact made a change in The dominant culture. The study depended on the anthropological method and its different tools.

The study concluded many results:

- There is a kind of adaptation between the newcomers and the original inhabitants, that both cultures affected each other in different degrees.
- The similarity between the two cultures and the participation in the local economy made intimate relations in the local economy made intimate relations in friendship ,neighbourhood and marriage which lessened the barriers among the groups.
- The cultural contact between the newcomers and the original inhabitants led to a change in the life style of the oasis` people especially in agriculture .
- Many crimes appeared as a result of this cultural contact like stealing and cattle smuggling also new kinds of commerce.

A conflict in the relation between the two groups is expected to happen because the number of the newcomers from the Nile Valley is increasing also, the rate of the unemployment, in addition to the rising of the economic pressures . There is also the water problem and the conflict on it because of the rareness of the ground water wells and the dryness of its water which from distant depths . So, the state and the decision makers should intervence and find plans and future programs to solve this problem.

المحتويـــات

١) **مقدمة.**
٢) **أهمية الدراسة.**
٣) **مشكلة الدراسة وتساؤلاتها.**
٤) **أهداف الدراسة.**
٥) **مفاهيم الدراسة.**
- مفهوم الاتصال الثقافي.
- مفهوم الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة.

٦) **الاطار النظري للدراسة.**
- الوظيفية.
- جيرتز والرؤية التأويلية.
- نظرية الاتصال والتغير الثقافي.

٧) **الإجراءات المنهجية للدراسة.**
- أسس اختيار مجتمع الدراسة.

٨) **المناهج المستخدمة للدراسة.**
- المنهج التاريخي.
- المنهج الانثروبولوجي.
- المنهج الوصفي.

٩) **أدوات ومصادر جمع البيانات.**
- الملاحظة بأنواعها.
- المقابلة المتعمقة.
- الاخباري.
- السجلات الرسمية.
- دليل العمل الميداني.

١٠) **الدراسة الميدانية.**
- مجتمع الدراسة : الواحات البحرية.
- العلاقات الاجتماعية والجيرة.
- الجيرة : المفهوم والإبعاد.
- الصداقة.
- الزواج.

١١) **استخلاصات.**

مقدمة:

يعد مجتمع الواحات البحرية من المجتمعات التي تدخل في نطاق التصنيف الصحراوي لبقية المجتمعات الأخرى، ونظرا لتمايز المجتمع الصحراوي لما له من نظم اجتماعية وطرق معيشية مختلفة تفرض على الباحث ألا يكتفي بالكتابات النظرية عن هذه المناطق، فعلى الرغم مما تقدمه هذه الدراسات من معلومات واقعية عن تلك الأنماط المجتمعية، إلا أن الدراسة الميدانية لواقع المجتمع الفعلي وترجمة صورة حقيقية لما يشمله، والوقوف على ما يمكن أن يسير عليه مستقبلا، كل هذا يعطي الدراسة الميدانية أهميتها.

أي أن الاهتمام بدراسة المجتمعات الصحراوية يعكس أهميتها سواء جغرافيا أو اقتصاديا أو ثقافيا، أو من زاوية الحياة الصحراوية كما أن الاهتمام بدراسة التغير وأسبابه المختلفة التي تؤثر في جميع هذه الجوانب يفيدنا في معرفة كيف تم هذا التغير وفي أي اتجاه.

وغني عن البيان : فأن الدراسات والبحوث الانثروبولوجية تشهد تحولا عميقا في النظرة إلى طبيعتها والهدف منها والمناهج التي تتبعها وأساليب البحث التي تطبقها وهو تحول يستحق التسجيل نظرا لما يضفيه عليها من عمق في الفهم والتحليل والتأصيل سواء في أطرها النظرية أو المنهجية.

ويمكن لنا أن نميز عبر هذا التحول أمرا يتضح في الكتابات الانثروبولوجية الحديثة، ويتمثل هذا الاهتمام المتناهي بدراسة موضوع "الاتصال الثقافي" بين الجماعات العرقية بعملياته واستجاباته وعوامله، وذلك راجع إلى زيادة الاهتمام بديناميات التكيف الثقافي من ناحية وزيادة انتشار هذه الجماعات من ناحية أخرى، وبصدد هذا الموضوع فيجب ألا نعتبر أن الاتصال الثقافي مجرد نقل عناصر من ثقافة لأخرى، قدر ما هو عملية تفاعل مستمرة بين جماعات تحمل ثقافات مختلفة على نحو ما سنرى في هذه الدراسة.

وانطلاقا من أن دراسة هذه الجماعات- الوافدة والأصلية – تعيش جنبا إلى جنب على الرغم من اختلاف ثقافاتها وتباينها يمكن في أن يفيد إلى حد كبير إذا ما أريد معرفة طبيعة ونوعية العلاقات السائدة بينهما، وهل يغلب عليها طابع التعاون أو المنافسة أو الصراع، وإلى أي حد حققت هذه الجماعات فيما بينها نوعا من التكيف الثقافي أو التمثيل الثقافي مما يلقى الضوء على طبيعة ونوعية المشكلات التي يصادفها المجتمع التقليدي في مرحلة التغير، وفي فترة استيعابه للجماعات الوافدة، والمختلفة ثقافيا مما يمكن أخذه في الاعتبار عند وضع المزيد من مشروعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستقبلية، خاصة إذا أمكنا إدراك الآثار المترتبة على تواجد هذه الجماعات معا.

وعلى أية حال فإن النسق الاجتماعي إذا ما اشتمل على جماعات اثنية متعددة فإن الاتصال يكون حتما بينها، وقد يترتب عليه في المدى الطويل نوع من التكيف الثقافي أو التمثيل الثقافي وهذا ما سوف تكشف عنه الدراسة الراهنة.

أهمية الدراسة:

يعد موضوع "التشكيل الواقعي الراهن للاتصال الثقافي بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية" من الموضوعات الحيوية الهامة في الدراسات الانثروبولوجية، وذلك لكونه - الاتصال الثقافي - عماد الحياة الإنسانية، فلا يوجد مجتمع يعيش بمعزل عن الآخر عزلة مطلقة، ولكن وإن فرض ووجد هذا المجتمع تكون العزلة نسبية، وهذا ما حدث في مجتمع الواحات البحرية – مجتمع البحث – فقد ظل زمنا طويلا في عزلة عن المجتمع الكبير وذلك لسوء وصعوبة الانتقال منه وإليه حتى بداية السبعينيات من القرن الماضي.

أي بعد اكتشاف خام الحديد به، وما ترتب عليه من شق وتمهيد ورصف الطرق المؤدية إليه، فضلا إلى دخول والكهرباء من السد العالي، ومن هنا عرفت الواحة النور وظهور مجتمع التعمير الذي ضم جماعات وافدة من وادي النيل، وقد عاشت هذه الجماعات الوافدة في مناطق يطلق عليها "القُصع" وهي عبارة عن خمسة تجمعات سكانية متجاورة – قرى صغيرة – هذه الجماعات الوافدة عاشت جنبا إلى جنب مع أبناء المجتمع الأصلي، وربطت بينهم علاقات جوار أدت إلى تغير شبكة العلاقات الاجتماعية.

وبالطبع فإن عملية الجوار بين الثقافات المختلفة ينتج عنها زيادة في المعرفة بمجالات جديدة في بعض نواحي الحياة.

كما يذكر روبرت ليتون R.Layton نتيجة الاحتكاك بين الثقافات المختلفة - فضلا عن أن الواحة قد تعرضت لموجات من التبادل السكاني، أي أن الواحة تجمع أنماط متباينة من الثقافات نتيجة وجود خليط من مجموعات سكانية مختلفة وافدة إليها.

وهذه الدراسة تسعى إلى التعرف على شكل العلاقات الاجتماعية بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة في الواحات البحرية والتي ترتبت على هذا الاتصال، أي ليس الأمر مجرد اكتساب أنماط ثقافية جديدة، وإنما قد يترتب عليه وبطريقة واضحة ظهور نوع جديد من العلاقات الاجتماعية وهذا ما تسعى الدراسة إلى التعرف عليه، وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها تهتم بالمجتمعات الصحراوية التي تعاني من قلة الدراسات العلمية الاجتماعية والانثروبولوجية، حول الموضوع الذي استقطب جماعات اجتماعية من وادي النيل لتعيش جنبا إلى جنب مع أبناء الواحة، وتكونت علاقات اجتماعية فيما بينهم نتيجة التفاعل الاجتماعي الحادث بينهم فأثرت وتأثرت كل جماعة بالأخرى.

كما تكمن الأهمية النظرية لهذه الدراسة من انطلاقها في تحليل المادة الميدانية في ضوء بعض القضايا النظرية مثل النظرية الوظيفية والاتصال والتغير الثقافي، وكذلك الرؤية التأويلية على حين تبدو أهميتها التطبيقية في لفت أنظار المسئولين ومتخذي القرار ومخططي البرامج الاجتماعية والاقتصادية في مجتمع الواحات البحرية من حيث تأثير الاتصال الثقافي بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة في العلاقات الاجتماعية، وإلى أي حد بلغت هذه العلاقات، أي معرفة أثر هذا الاتصال الثقافي على مجتمع الواحات البحرية، وإلى أي مدى غير في فكر هذا المجتمع من خلال التأثير والتأثر بالجماعات الوافدة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

لقد نبعت فكرة هذه الدراسة من خلال اشتراك الباحثة في إحدى الدراسات الميدانية لتنمية الواحات البحرية ضمن فريق التنمية البشرية عام ١٩٩٤م تحت إشراف أ.د/ أحمد أبو زيد، وقد ساهمت الباحثة في جمع المادة الاثنوجرافية وكتابة التقرير النهائي للبحث والذي أشرف عليه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية وقد أرادت الباحثة التعرف على بعض التغيرات التي لحقت بالمجتمع خاصة من جانب العلاقات الاجتماعية.

فضلا على أن الواحات البحرية تعد منطقة جذب لعناصر سكانية تحمل معها ثقافات مختلفة، مما كان له أثره على أبناء المجتمع الأصلي من خلال انتقال سمات ثقافية جديدة له، وهذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن أثر التفاعل الناتج عن هذا الاتصال والتعرف على مدى التمايز الثقافي بينهما: أي معرفة ما ترتب على هذا الاتصال الثقافي بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة، وأثر ذلك الاحتكاك – الاتصال – في الثقافات التقليدية السائدة بالمجتمع الأصلي، أي دراسة التأثير والتأثر المتبادل بين الثقافات المحلية والوافدة خاصة من ناحية العلاقات الاجتماعية.

ولكي تصل الباحثة إلى صياغة محددة وواضحة لمشكلة البحث، فقد تم طرح مجموعة تساؤلات تمثل الإجابة عليها مدخلا لفهم هذه المشكلة، ومحاولة لتحقيق أهداف الدراسة، وقد أمكن إجمال هذه التساؤلات في تساؤل رئيسي هو: ماهو تأثير الاتصال الثقافي بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة في مجتمع الواحات البحرية على العلاقات الاجتماعية السائدة؟

وبناء على هذا التساؤل العريض، تُثار عدة تساؤلات فرعية، تزيد في توضيح أبعاد هذه الدراسة وأهدافها كالتالي:

- ما أثر الاتصال الثقافي على العلاقات الاجتماعية؟
- ما أثر العلاقات الاجتماعية (جيرة – صداقة – زواج) بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة؟
- إلى أي مدى أثر الاتصال الثقافي على الميل نحو التغير في الثقافة السائدة ؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق هدفين أساسيين هما:

الأول: تحقيق التحليل الوصفي العلمي لطبيعة ونوعية العلاقات الاجتماعية بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة بالواحات البحرية، أي محاولة إلقاء الضوء على طبيعة العلاقات بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة، والكشف عما إذا كان هناك نوعا من التكيف أو التمثيل الثقافي حدث بينهما من عدمه.

الثاني: يتمثل في التعرف على عمليات واستجابات الاتصال الثقافي بين الجماعات المعنية والتي تؤدي إلى التكيف والتمثيل الثقافي أو تحول دون ذلك؟

مفاهيم الدراسة :

مدخل إلى مفهوم الاتصال الثقافي:

ترجع دراسة الاتصال الثقافي إلى النمو المتزايد في المعرفة الأنثروبولوجية، وأنها تعزي إلى زيادة الاهتمام المستمر بديناميات التغير الثقافي أو بدراسة التأثير والتأثر المتبادلين بين الثقافات المختلفة، وإذا كانت الثقافات تتغير باستمرار فإننا ينبغي أن نأخذ في الاعتبار دراسة عادات وتقاليد الجماعات أو الشعوب التي تتأثر بعادات وتقاليد شعوب أخرى(١).

ولقد تناول الباحثون والمفكرون هذا الموضوع منذ قرون عديدة، ففي القرن الرابع عشر الميلادي تحدث فيه بن خلدون في معرض تميزه بين البدو والحضر، حيث أكد أن لغة البدو نقية ولسانهم مستقيم بسبب عزلتهم، أما أهل الحضر فإن لغتهم تتغير بسبب اختلاطهم بالأعاجم، أي الأجانب من أصحاب اللغات المختلفة، ممن ينتمون إلى ثقافات أخرى، وذلك لأغراض التجارة وغيرها(٢).أي أن الاتصال الثقافي هو نقطة البدء في التغير(٣) .

فالاتصال الثقافي هو عامل هام في التغير الاجتماعي، وفي هذا الصدد يكون التغير الثقافي الناتج من الاتصال شاملا لعمليات اكتساب الخصائص الثقافية والانتشار كما أشار إلى ذلك "ردفيلد، ولنتن" R.Linton وهرسكوفتس HerskoritsK، واكتساب الخصائص الثقافية هي كل الظواهر التي تنتج عندما تدخل مجموعة من الأفراد لهم ثقافات مختلفة في صلات مباشرة، أو مستمرة وما يترتب على ذلك من تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية للمجموعتين أولواحدة منهما(٤) . ويرى محمد الجوهري أنه عندما يحدث اتصال ثقافي واحتكاك بين الثقافات بعضها ببعض، فإن هناك عمليات تظهر إلى حيز الوجود تبعا لذلك الاحتكاك ومن أهمها: "الصراع الثقافي" أي الصراع بين الثقافة الأصلية والثقافة الوافدة، وبمرور الوقت وتبعا لشدة الاتصال الثقافي واستمراريته ودرجة الاختلاف بين الثقافات التي يتم بينها الاتصال، فإن تغيرا يحدث في هذه الثقافات بدرجة متفاوتة ويتخذ هذا التغير صورا ومظاهر متعددة منها:

أ) الإحلال: أي أن تحل عناصر جديدة محل عناصر كانت موجودة من قبل وتؤدي نفس وظائفها.
ب)الإضافة: أي أن تضاف عناصر جديدة لم يكن لها نظائر في الثقافة الوطنية الأصلية
ج) الاندماج: أي تندمج عناصر من الثقافة الوافدة مع عناصر من الثقافة الوطنية الأصلية.
د) التفكك الثقافي: عندما تفقد الثقافة جانبا منها دون ظهور جانب آخر يحل محله.
هـ) التوحد أو التمثل الثقافي: عندما يصبح من الصعب التمييز بين الثقافة الوطنية والثقافة الوافدة، حيث تشكل بمرور الوقت ثقافة واحدة مختلفة(٥) .

ويذكر: أحمد أبو زيد: أن الاتصال هو العملية التي يتم بها – بمقتضاها – تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع بصرف النظر عن حجم هذا المجتمع وطبيعة تكوينه" وتبادل المعلومات والأفكار والآراء والتجارب فيما بينهم، والواقع أن ثمة إجماعا بين العلماء على اعتبار أن الاتصال عملية أساسية في حياة المجتمع، وأن كل ما يتصل بانتقال الأفكار، والمعلومات من فرد لآخر،أو من جماعة لأخرى يدخل ضمن هذه العملية سواء أكانت هذه الأفكار والمعلومات ذات طبيعة اجتماعية، وثقافية، أو علمية، من هنا نجد أن الثقافة اتصال على اعتبار العادات والتقاليد والتراث والخبرات والقيم والمعارف المختلفة كلها تنتقل بين الأشخاص، والأجيال، والجماعات ، وأن هذا الانتقال أو النقل، والتوصيل هو الذي يعطي صفة الاستمرار والبقاء في الوجود(٦) .

ومما سبق فيمكن القول بأن الإنسان هو عبارة عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية، وهو نتاج أنماط اجتماعية معينة يتغير من خلال التغير الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية. غير أن العلاقات الاجتماعية للتفاعل الاجتماعي تتغير بفعل النشاط البشري، ومن هنا كان الاهتمام بموضوع الدراسة، وما سلف يعتبر مدخلا للتعرف بمفهوم الاتصال الثقافي:

مفهوم الاتصال الثقافي :

يعتبر مفهوم الاتصال الثقافي من المفاهيم المحيرة حيث لم يوجد اتفاق مطلق حول هذا المفهوم، فقد استخدم هذا المفهوم منذ القرن التاسع عشر لوصف عمليات التلاؤم والتغير الذي يحدث من خلال الاتصال الثقافي، ولكن خلال الثلاثينيات انتشر استخدامه بين الأنثروبولوجيين الأمريكيين المهتمين بدراسة التغير الثقافي والاجتماعي، ومشكلات الاضطراب الاجتماعي والانهيار الثقافي(٧) ويرى أحمد زايد: أن الاتصال الثقافي هو الالتقاء بين ثقافتين. بحيث تؤثر إحداهما في الأخرى أو يظهر بينهما تبادل ثقافي يؤدي إلى إحداث تغيرات داخلية في كل ثقافة، وقد يحدث الاتصال الثقافي نتيجة للاستعمار، أو الغزو، أو الاحتلال العسكري، أو البعثات التبشيرية، كما قد يحدث من خلال كافة صنوف الاتصال التلقائي كتحركات العمل

الطواعية، والتبادل التجاري والفني والسياحي، وفي وجود كل هذه العوامل، أو غيابها فإن الاتصال الثقافي قد يحدث خاصة مع ثورة الاتصالات الأخيرة من خلال وسائل الاتصال الجماهيري التي تحول العالم يوما بعد يوم إلى قرية صغيرة، ويطلق على عملية الالتقاء بين الثقافات هذه التثاقف Acculturation التي بمقتضاها يتم الالتقاء بين ثقافتين تؤثر إحداهما في الأخرى، أو يحدث بينهما تأثر متبادل(٨).

وترى الباحثة: أنه لا يمكن أن تكون هناك جماعات متجاورة، وتحمل معها ثقافات مختلفة وكان بينهما تفاعل اجتماعي وعلاقات قوية، إلا وتأثرت كلاهما بالأخرى، وأنه لا يمكن أن يكون التأثير من اتجاه واحد أو من جانب واحد طالما هناك اتصال ثقافي بين الجماعات.

فالاتصال الثقافي هنا: يشير إلى أنه هو العملية التي تتصل عن طريقها ثقافتان اتصالا وثيقا، وما يترتب على ذلك من تغيرات يكون من نتيجتها ازدياد التشابه بين الثقافتين، أي هي العملية التي تتبنى بها مجموعة ثقافية معتقدات وسلوكيات مجموعة أخرى، وهذا ما سوف تفرزه هذه الدراسة في نتائجها.

مفهوم الجماعة الأصلية والجماعة الوافدة:

كما تمثل مفاهيم الجماعة الأصلية in – group والجماعات الوافدة out-groups ضرورة حتمية لهذه الدراسة. وقد أوضحت الدراسات أن الاختلافات بين الجماعات يمكن ملاحظتها في أفراد كل مجتمع على حده، وعادة ما تكون هذه الاختلافات مبالغ فيها إلى حد ما لوضع صورة سلبية عن مجتمع ما، كما أن تقسيم المجتمع إلى أصلي ووافد وما يرتبط به من سلوكيات عدم الود بين الجماعات يكون بسبب التنافس على الموارد النادرة لتحقيق الأهداف المحددة من قبل الجماعات الوافدة والأصلية، ولكن هذه الأهداف يتم تحقيقها بواسطة جماعة واحدة دون الأخرى، أي أن سبب العداء هو التفرقة بيننا وبينهم للتنافس من أجل المصادر النادرة بغرض تحقيق الأهداف المرغوبة من كلا المجموعتين "الأصلية – الوافدة"(٩) فالأصلي في اليونانية هي من الأرض ذاتها، وأحيانا يستخدم إلى السكان الأصليين المقيمين في منطقة ما(١٠).

أي أن مفهوم الجماعة الأصلية يقصد بها السكان الأصليين في منطقة معينة أو في إقليم ما. أي هم جماعة من البشر يعيشون في منطقة محلية، ولفترة طويلة من الزمن ويشتركون معا في النمط العام من خلال ارتباطهم بثقافة واحدة، وأنهم يتصرفون في ضوء ما يعرف بسلوك المجتمع الذي يجعلهم يتماثلون فيما بينهم، ويتميزون عن أفراد المجتمعات الأخرى، أي أن الجماعة الأصلية هم أصحاب الأرض وملاكها، أو هم الأوائل في منطقة ما. وتجمعهم ثقافة واحدة.

أما الجماعة الوافدة : الخارجية out group هم الأشخاص الذين يضطرون تحت الضغوط الفيزيقية، أو الاقتصادية أو العسكرية، أو السياسية إلى ترك الإقليم الذي يقيمون فيه أو بلدهم الأصلي، والانتقال إلى إقليم آخر، أو بلد آخر، كذلك يمكن أن تتم تحركات اللاجئين بسبب ظروف المجاعات، أو الاضطهاد السياسي لجماعات سلالية معينة، أو لغيرها من الجماعات أوقات الحروب ... إلخ، وهذه الجماعات تتميز بأنماطها الثقافية، التي تميزها عن الأخرى، أي: أنها تتميز بنمط من السلوك يميزها عن المجتمع الكبير(١٢) .

أي هي الجماعات التي تنتقل من مكان إلى مكان آخر بسبب ظروف معينة وبغرض تحقيق هدف معين.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

أسس اختيار مجتمع الدراسة:

وقع اختيار الباحثة على مجتمع الواحات البحرية رغم بعد المسافة بين هذا المجتمع والموطن الأصلي للباحثة، وما يتطلبه ذلك من تكلفة عالية للإقامة والإعاشة بالمجتمع لفترات طويلة كما يتطلب المنهج الانثروبولوجي ولكن جاء اختيار الباحثة لهذا المجتمع لسببين هما: ذاتية وأخرى موضوعية.

أولا: الأسباب الذاتية:

- اهتمام الباحثة بدراسة المجتمعات الصحراوية من خلال عملها في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية تحت إشراف أ.د/ أحمد أبوزيد وكذلك أ.د/ علياء شكري من خلال البحث لقضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع وايضًا دراستها لمجتمع سيناء في رسالة الماجستير بعنوان " أنماط البدواة في شبه جزيرة سيناء وكما تعكسها بعض عناصر التراث الشعبي".
- كما شاركت الباحثة في بحث تنمية الواحات البحرية بمحافظة الجيزة عام ١٩٩٤م ضمن لجنة التنمية البشرية، حيث شاركت الباحثة في جمع المادة الميدانية وكتابة التقرير النهائي .
- شاركت الباحثة في دراسة مجتمع الواحات البحرية من خلال المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية لفترات طويلة.
- العلاقات الحميمية بين الباحثة وبين الكثير من أبناء المجتمع والمستمرة حتى الآن.

ثانيًا: الأسباب الموضوعية:

- تزايد العمالة الوافدة بالمجتمع خاصة بعد اكتشاف خام الحديد واستصلاح الأراضي الزراعية بمساحات كبيرة وأصبحت الواحة مجتمع جاذب للعمالة وخاصة في النشاط الزراعي.

- أن مثل هذه الدراسة تمثل مبحثا حديث العهد نسبيًا، ومن ثم فقد بات من الضرورة إجراء مثل هذه الدراسات غير المطروحة من قبل.
- أن هذه الدراسة جاءت بما تقتضيه الضرورة العلمية والقومية والتي ترى الاهتمام بدراسة مثل هذه المجتمعات التي عاشت زمنا طويلا في طي النسيان بسبب العزلة التي فرضتها الظروف الجغرافية والبيئية.
- غيبة الدراسات السوسيولوجية والأنثربولوجية وغيرها حول هذا الموضوع الذي استقطب جماعات اجتماعية من وادي النيل فيما تعيش مع أبناء الواحات البحرية التي تأثرت وأثرت كل جماعة بالأخرى وكونت علاقات اجتماعية فيما بينهم.
- دراسة التغير الاجتماعي الناتج عن عملية الاتصال الثقافي بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية.

المناهج المستخدمة للدراسة :

تعتبر مناهج البحث في أبسط معانيها هي الاستراتيجيات التي يطورها علماء الاجتماع والانثربولوجيا ثم يتبنونها في عملية جمع الشواهد والأدلة من عالم الواقع عن بعض الظواهر الاجتماعية المحددة التي يشرعون في دراستها، أي أن مناهج البحث هي شيء أكبر وأخطر من مجرد اختبار أداة بحثية معينة مثل استمارة جمع البيانات (أو الاستبيان) لاستخدامها في جمع المعلومات عن موضوع معين، إنما تتضمن مناهج البحث البدء بملاحظة قضية أو مشكلة اجتماعية معينة ثم طرح بعض الأسئلة عليها، ثم بلورة بعض الأفكار بشأنها التي يمكن الشروع في بحثها، ثم اختيار أداة أو أدوات معينة لاستخدامها في هذا البحث(١٢) .

واستنادا إلى أهداف الدراسة في محاولة التعرف على العلاقات الاجتماعية بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة في الواحات البحرية فإن ثمة أسس منهجية ضرورية لتوجيهها من حيث محدداتها أو إجراءاتها وسوف تستخدم الباحثة منهجين أساسيين لتحقيق أهداف الدراسة وهما:

أولاً: المنهج التاريخي:

والذي تكمن أهميته في الحصول على أنواع من المعرفة عن طريق الماضي بقصد دراسة وتحليل بعض المشكلات الإنسانية والعمليات الاجتماعية الحاضرة، وذلك لأنه كثيرا ما يصعب علينا فهم حاضر الشيء دون الرجوع إلى ماضيه، فالحياة المعاصرة قائمة على الحياة السابقة وامتداد لها، فالباحث لابد له أحيانا من الرجوع إلى الماضي الممتد ودراسة الحوادث والوقائع الاجتماعية التي تشكل الحاضر، وكشف جوانب الطبيعة البشرية في الماضي وتطور المجتمع والفكر الاجتماعي(١٣) .

حيث أن البحث الميداني المعاصر أخذ يتباعد بشكل متزايد عن الاعتماد الكلي على التحليل الآني "المتزامن والمعاصر" وعلى الملاحظة بالمشاركة، حيث شعر الأنثروبولوجيون بالحاجة إلى الاستعانة بالمعلومات التاريخية، مثل التاريخ السلالي، والخلفية التاريخية للسياق الإقليمي والقومي والعالمي الذي يعيش وسطه المجتمع الذي تجرى فيه الدراسة الميدانية، لذلك يتعين أن يكون الباحث الميداني مؤهلا للإفادة من المصادر الوثائقية ونقدها، ولقد أصبح استخدام تلك المواد يمثل جزءا جوهريا من البحوث المعاصرة منذ أن أوضحت التطورات الأخيرة في الأنثروبولوجيا النقدية، وفي الأنثروبولوجيا الماركسية، وفي اتجاهات نظرية أخرى كيف أن الأسلوب الذي اتبعه العمل الميداني التقليدي في الماضي قد عزل بشكل مصطنع المجتمع أو الثقافة البدائية عن سياقها: التاريخي، والاقتصادي، والسياسي، الجغرافي(١٤).

فالباحث الذي يستخدم المنهج التاريخي قد يجمع بيانات من الوثائق والسجلات وبجانبها يجري مقابلات مع كبار السن أو الذين يعيشوا واقعة معينة أو عاشوا في فترة تاريخية معينة تدخل في نطاق اهتمام الباحث(١٥).

أي أن الباحث الذي يستخدم المنهج التاريخي في دراسته يقصد به الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث في أحداث التاريخ الماضية، وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر كما يرى "ريكمان H. Prickman" أن المدخل التاريخي يعتمد على فهم التعبيرات والمظاهر المختلفة من خلال النظر إليه في سياق تاريخي أو زمن، كما أنه يتيح فرصة فهم الخصوصيات أي الأحداث والظواهر التي لا تتكرر لكنه لا يقف عند هذا الحد، إذ يمكن للباحث أن ينتقل من هذا المستوى إلى مستوى آخر أعم وأشمل(١٦).

وسوف تعتمد الدراسة على هذا المنهج التاريخي بهدف رصد البعد التاريخي لمجتمع الواحات البحرية وكذلك الجماعات الوافدة من وادي النيل "المحافظات الأخرى" من أجل تتبع ملامح التغير بالمجتمع وبالتالي سوف يتطلب ذلك من الباحثة ما يلي:

- الاستعانة بالإخبارين وخاصة من كبار السن "بمجتمع الدراسة" حتى يمكن معرفة ملامح التغير وحدودها التي طرأت على هذا المجتمع.
- الرجوع إلى بعض الوثائق من "مخطوطات، أو سجلات، أو جرائد ...." والتي يمكن للباحث الرجوع إليها والاستفادة منها في موضوع الدراسة الراهنة.

حيث أن المنهج التاريخي اتخذ في دراسة الثقافة شكلا يختلف تماما عما كان عليه في القرن الماضي، وذلك عند علماء الأنثروبولوجيا الثقافية المحدثين ويتماشى مع الاتجاه الوظيفي السائد في التفكير الانثروبولوجي.

فالعلماء المحدثين أو الغالبية العظمى منهم على الأقل يقفون موقف المعارضة بل والعداء من فكرة التطور والتقدم خلال مراحل مرسومة، وأصبحوا يهتمون بدلا من ذلك بمعرفة العمليات الاجتماعية بل والسوسيولوجية الوظيفية وذلك ديناميات التغير الاجتماعي والثقافي التي تنطوي عليها عمليات الاحتكاك أو الاتصال الثقافي، واكتساب الثقافات أكثر مما يهتمون بالتاريخ، بل وحتى في الحالات التي يقصدون منها دراسة تاريخ الثقافة فإنهم يقتصرون على تاريخ ثقافة مجتمع معين بالذات أو العلاقة بين عدد من المجتمعات المعنية على أساس أن التاريخ أمر يتعلق بكل مجتمع على حده(١٧).

وتقول "علياء شكري" أن المنهج التاريخي يعتبر محاولة للكشف عن أصول التراث الشعبي بمراحلها التاريخية المختلفة، والنظر إليه نظرة تشريحية على اعتبار هذا الكيان الثقافي الماثل أمامنا في الحاضر كشيء متطور ومتغير عبر العصور من خلال الاحتكاك بثقافات مختلفة(١٨).

أي أن هذا المنهج يهتم بعرض وتحليل الوقائع والأحداث والاتجاهات السابقة عن الحياة الاجتماعية والكشف عن التطور التاريخي للأنساق الاجتماعية والتعرف على العوامل التي أسهمت في استمرارها أو أدت إلى تغييرها.

ثانيًا: المنهج الأنثربولوجي:

في الواقع أن البحث الأنثروبولوجي الميداني كان دائما ولا يزال إلى حد كبير هو مشروع الباحث الفرد، بمعنى أن ينفرد باحث واحد بدراسة مجتمع محلي صغير الحجم دراسة مركزة لمدة طويلة من الزمن بقصد الإحاطة الشاملة بكل مظاهر الحياة الاجتماعية على مدار سنة كاملة على الأقل باستخدام الملاحظة بالمشاركة مع المعايشة والاتصال المباشر لخلق العلاقة الحميمية Rapport بين أبناء المجتمع المحلي، وهذا يتيح الفرصة للباحث أن يحقق نفسه وشخصيته واتجاهه النظري، بحيث يمكن القول: أن البحث الميداني يساعد على اكتشاف ذاته والكشف عن تكوين فكرة من خلال اختياره للموضوع ولمجتمع البحث وأساليب جمع المادة الأثنوجرافية، ثم تحليلها في ضوء موقف نظري معين يؤمن به يسترشد به في بحوثه(١٩).

وبالتالي فسوف تستخدم الباحثة الطريقة الأنثروبولوجية المألوفة، والتي تعتمد على (الإقامة الطويلة، والمعايشة، والملاحظة المباشرة) وذلك للإحاطة والإلمام التام بمختلف الأنساق الاجتماعية المألوفة لذلك المجتمع أو التعرف على ما يسمى بعالم الواقع Life Worlod في منطقة البحث وسوف يتم ذلك في ضوء "المنهج التاريخي" الذي يعتبر هو الوسيلة التي تتعامل بها الباحث مع الوثائق والأحداث الكامنة في التاريخ مع محاولة تفسيرها للوصول إلى أسبابها وتتبع العلاقات التي تربط بينها، واستخدام هذا المنهج يتطلب الاستعانة، ببعض الأشخاص كبار السن كمصادر أو شهود على وقوع الأحداث التاريخية، وإذا كان التاريخ هو رصد للماضي ووقائعه وأنشطته المختلفة، فإن وصف الحاضر يقتصر الرجوع لذلك الماضي لتتبع السياق التاريخي لتلك الوقائع أو الأنشطة وانتقالها من حالة إلى أخرى للتعرف على ما طرأ عليها من تغير وأسبابه(٢٠).

ثالثًا: المنهج الوصفي:

حيث أن الدراسة الوصفية تستهدف تقرير خصائص مشكلة معينة ودراسة ظروفها المحيطة بغرض الكشف عن الحقائق الراهنة التي تتعلق بظاهرة أو بموقف أو مجموعة من الأفراد مع تسجيل دلالاتها وخصائصها وتصنيفها وكشف ارتباطها بمتغيرات أخرى بهدف وصف هذه الظاهرة وصفا دقيقا شاملا، والدراسات الوصفية لا تقف عند مجرد جمع البيانات والحقائق وتلك البيانات وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها وتحديدها بالصورة التي هي عليها كميا وكيفيا بهدف الوصول إلى نتائج نهائية يمكن تعميمها، هذا وتفترض الدراسات الوصفية أن هناك قدرا موفورا من البيانات عن ظاهرة الدراسة كما تعتبر بمثابة دراسات استطلاعية تمهد للباحثة الطريق وترسم له صورة عامة للمشكلة وتمده بقدر من المعلومات،[٢١] كما أنها – الدراسة الوصفية – تقوم على أساسين منهجين هامين هما (التجريد، والتعميم)[٢٢].

ويؤكد عبد الهادي الجوهري أن أهمية هذا المنهج ترجع إلى الدقة واتساع نطاقه الذي يتميز به، ولذلك يجب وضع تصميم بحثي في هذه الدراسات حتى لا تقع في دائرة التحيز وعدم الموضوعية، حيث أن هذا المنهج يقوم على التجريد والتعميم[٢٣].

وسوف يتضح ذلك من خلال دراسة الباحثة لمجتمع البحث بهدف رؤية المجتمع من خلال العلاقات المتداخلة بين أفراد المجتمع، وذلك من خلال المنهج الأنثروبولوجي والذي يحتم على الباحث الإحاطة بكل مظاهر الحياة الاجتماعية، وأن يدرس كل هذه المظاهر في كل أبعادها، مثل "نسق القرابة" والنسق الاقتصادي والسياسي وغيرها من الأنساق التي تتفاعل وتتداخل وتؤثر بعضها في بعض مؤلفة ما يطلق عليه اسم "البناء الاجتماعي"[٢٤].

ويرجع اعتماد هذه الدراسة على المدخل الانثروبولوجي إلى كونه أفضل المداخل ملائمة لطبيعة هذه الدراسة، حيث يهتم بتناول البناء الاجتماعي للمجتمع على أنه كل متكامل يتكون من مجموعة من النظم والأنساق الاجتماعية المختلفة، والتي يربط فيما بينها شبكة من العلاقات الاجتماعية القائم على التفاعل والتساند الوظيفي، وبهذا فإن هذا المدخل بما يعتمد عليه من منهج شمولي ملائمة يهتم بعدم إغفال أي من الخصائص البدائية للظاهرة، والمجتمع مجال الدراسة[٢٥].

أدوات ومصادر جمع البيانات:

سوف تستعين الباحثة ببعض الأدوات والمصادر المستخدمة في الدراسات الانثروبولوجية وهي كالتالي:

الملاحظة بأنواعها:

الملاحظة Observation :

تعد الملاحظة من الأدوات المستخدمة في جمع البيانات وفي الملاحظة المباشرة للسلوك والتفاعل الاجتماعي interaction ولا يكون فيها الملاحظ مشتركا في الشيء الذي يلاحظه وهنا يقصد بها "الملاحظة البسيطة" أي معاينة الظواهر كما تحدث تلقائيا، وفي ظروفها العادية دون إخضاعها للضبط العلمي أو استخدام أدوات أو أساليب من شأنها أن تقنن إجراء الملاحظة، والبيانات التي يتم التوصل إليها بواسطتها، ومما يذكر هنا أن هذا النوع من الملاحظة يحتوي على كل من الملاحظة بدون مشاركة والملاحظة بالمشاركة[٢٦] .ويرى: محمد الجوهري : (أن الملاحظة تعد من أهم وسائل جمع البيانات، ومن أهم الأشياء الأساسية في بحث أي ظاهرة تقريبا وهناك بعض أنماط الفعل الاجتماعي التي لا يمكن فهمها فهما حقيقيا إلا من خلال مشاهدتها[٢٧] . حيث إن الحصول على المعلومات في العلوم الاجتماعية كما هو الحال في العلوم الأخرى يعتمد بالدرجة الأولى على الملاحظة الحسية، وفيها يهتم الباحث بالحصول على المعلومات الظاهرة، وليست الكامنة، أو التي يمكن استنتاجها[٢٨] . أي أن هذا الأسلوب البحثي يلاحظ فيه الباحث مفردات بحثه وهم يعملون بذلك، دون أن يشارك بفاعلية في الموقف موضوع البحث، وفي بعض الأحيان يوجه النقد إلى هذا الاتجاه استنادا إلى أن واقع المبحوثين يعلمون بأنهم مراقبون، الأمر الذي قد يدفعهم إلى التصرف بطريقة مختلفة عما يفعلوه عادة، ومن ثم يقضي إلى عدم مصداقية البيانات التي تتم الحصول عليها، ولكي يمكن التغلب على ذلك، فإن الباحث عليه أن يلاحظ عددا من المواقف المتماثلة على امتداد فترة زمنية معينة[٢٩] .

أي أن الملاحظة هي الكشف عن طبيعة الظاهرة محل الدراسة ومعرفة خواصها الرئيسية، فضلا عن معرفة الظروف التي أدت إلى وجودها وذلك لتحقيق أهداف البحث وذلك لا يتم إلا من خلال ملاحظة سلوك أبناء المجتمع في شبكة العلاقات الاجتماعية ومدى ما لحق بها من تغير وأسباب ذلك التغير.

وهنا سوف تستخدم الباحثة الملاحظة بأنواعها حيث يستخدم كل نوع من أنواعها طبقا للموقف أو الحدث الذي يتواجد فيه الباحث[٣٠] ولقد كان اختيار الباحثة لمجتمع الواحات البحرية أحد الأسباب التي مكنتها أن تلم بجوانب الحياة داخل هذا المجتمع، ولهذا فقد استعانت الدراسة بأسلوب الملاحظة والذي "يعد من أهم وسائل جمع البيانات، ومن أهم الأشياء الأساسية في بحث ظاهرة ما وهناك بعض أنماط الفعل الاجتماعي، التي لا يمكن فهمها فهماً حقيقياً إلا من خلال مشاهدتها مشاهدة حقيقية، بمعنى رؤيتها رؤية العيان"[٣١]

الملاحظة بالمشاركة Participant Observation :

هي أحد مناهج البحث الإمبريقية ويعني قيام الباحث بدراسة مجتمع صغير أو نشاط ثقافي يكون الباحث نفسه جزءا منه، ولمثل هذا الاتجاه البحثي ميزة يتفوق بها كثيراً عن غيره من الاتجاهات الأكثر ضبطا وتجريبية، من حيث ثراء المعلومات الوصفية التفصيلية التي يمكن لهذا الاتجاه أن يوفرها(٣٢) .

كما إن استخدام الملاحظة عن طريق المشاركة ليس عملية سهلة أو بسيطة، وإنما تحتاج إلى مران وتدريب فقد يفوت الدارس غير المتمرس ملاحظة كثير من مظاهر السلوك الجانبية حتى يكون انتباه موجه إلى موقف أو مشكلة من المواقف أو المشاكل الصعبة المعقدة أو حين يشارك في ذلك الموقف عدد كبير من الأشخاص الذين تصدر عنهم أفعال وأقوال متباينة في وقت واحد وليس مجرد المقصود بالملاحظة عن طريق المشاركة هو مجرد ملاحظة أحداث الحياة اليومية العادية عن قرب أو عن كثب، إنما المقصود بالمشاركة هنا الاندماج الكامل في حياة المجتمع وهو أمر لا يتعلق إلا بعد مرور فترة طويلة من الزمن تكفي لأن يتقبل المجتمع وجود الباحث واعتباره جزء منه، أي أن العنصر المهم هنا هو "تقبل" المجتمع للباحث واعتياده وجود الباحث فيه(٣٣) .

ومن هنا فإن الملاحظ المشارك كما توحي التسمية هو باحث يصبح عضوا في الجماعة التي يلاحظها بعكس الملاحظ الغير مشارك الذي يراقب الجماعة عن كثب وهذه التفرقة ليست جادة من حيث أن هناك اختلافات في مستويات المشاركة "أي في نوع ودرجة مشاركة الباحث في نشاط الجماعة التي يدرسها" ويتناول هذا الاختلاف من الباحث الذي يبقى خارج الجماعة ويراقب أفعالها، والباحث الذي يكون عضوا فعليا في الجماعة وعادة ما يشارك الباحث في نشاط الجماعة بدرجة تتراوح بين هذين القطبين أي "بين المشاركة التامة وعدم المشاركة" فإما أن يتظاهر بأنه عضو في الجماعة أو يقدم نفسه إلى المجتمع الذي يدرسه على أنه باحث علمي ويأمل أن تقبله الجماعة كعضو فيها(٣٤) .

ومن هنا فإن هذه الأداة يعتمد عليها أساسا في الدراسات الأنثروبولوجية ولاشك أن لها أهمية خاصة إذ أنها تجعل من الممكن تسجيل السلوك من حقائق ووقائع أثناء حدوثه.

أي أن الملاحظة المشاركة تعتبر إحدى الإستراتيجيات البحثية الرئيسية التي تهدف إلى التوصل إلى معرفة عميقة بمجال ما من مجالات الدراسة مثل "الجماعات المهنية أو الدينية أوغيرها" من خلال الانخراط المكثف مع الناس في بيئتهم الطبيعية، علما بأن هذه الطريقة – الملاحظة بالمشاركة – تتم بموافقة أفراد الجماعة موضوع الدراسة وقد تتخذ هذه الموافقة شكلا ضمنيا أو يعبر عنها رسميا، وفي هذه الحالة الأخيرة يتعين على الباحث الاجتماعي أن يعلن صراحة أنه بصدد إجراء بحث اجتماعي قيد الإجراء ويطلب من أفراد المجتمع أن يسمحوا له صراحة بالمشاركة.

أما عن الحالة الأولى: فإن الباحث عليه أن يكشف عن هويته كغريب عن تلك الجماعة، ولكنه يعلن عن هدف دراسته بقدر أقل صراحة، يتخذ عادة شكل عبارة عامة عن اهتمام الباحث بموضوع البحث بهدف تأليف كتاب عنهم مثلا دون إعطاء مزيد من التفاصيل إذا أتيح له الدخول إلى الميدان[٣٥].

وهذا على النقيض من الوسائل الأخرى التي تقوم في أساسها على استعادة الأحداث الماضية أو التوقع لما سوف يحدث[٣٦].

ومن هنا فإن المشاركة الفعلية في الحياة اليومية وثقة الأهالي بالباحثة وهي أفضل طريق لفهم أفراد المجتمع وذلك عن طريق التساؤلات التي توجهها الباحثة لمعرفة الإجابات عليها ومقارنة هذه الإجابات بالعديد من الإجابات من أفراد آخرين حتى تتمكن من صدق المعلومات التي تحصل عليها.

المقابلة المتعمقة:

إن الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة في البحوث الحقلية لا يعني الاستغناء عن الاعتماد على المقابلة والاستعانة بالإخباريين الذين يعتبرون هم المصدر الرئيسي للحصول على المعلومات والبيانات المتعلقة بالأوضاع الاجتماعية التي يصعب إخضاعها للملاحظة.

والجدير بالذكر أن المقابلة المتعمقة والتي تسمى كذلك المقابلة المكثفة، هي إحدى طرق البحث الشائعة بين الباحثين الكيفيين في جمع البيانات وتتخذ المقابلة المتعمقة الأفراد كمنطلق للعملية البحثية كما تفترضان لدى الأفراد معرفة متفردة ومهمة بالعالم الاجماعي يمكن التحقيق منه من خلال التواصل الشفهي، أي التحاور مع المبحوثين، وتعد المقابلات المتعمقة نوعا خاصا من الحوار بين الباحث والفرد الذي يجري معه المقابلة يتطلب وجود التساؤل الفعال والإنصات الفعال، وبالإمكان استخدام المقابلات الكيفية للحصول على البيانات الاستكشافية، والوظيفية، والمفسرة التي قد تستخدم أو لا تستخدم في توليد النظرية، وقد جرت العادة أن يسعى الباحثون الذين يجرون المقابلات المتعمقة للتعرف على الأنماط التي تظهر من واقع "الوصف المكثف للحياة الاجتماعية والتي ترد على ألسنة المبحوثين، وبهذا المعنى تكون المقابلات الكيفية مصممة للوصول إلى المعلومات أو المعرفة الخبيئة في الصدور"[٣٧] أي أن المقابلة: هي أسلوب لتجديد نوعية البيانات المهمة لدراسات سابقه، ويمكن أن تصبح أسلوبا للحصول على بيانات مفصلة عن أنماط من السلوك الاجتماعي، أو تفسيرات معينة لهذه الأنماط من السلوك[٣٨] . المباشرة، كما هو الشأن مثلا في تعرف الأوضاع التي كانت تسود في فترة سابقة على إجراء البحث الميداني وبخاصة تلك التي خضعت لكثير من التغيرات ودخل عليها كثير من التعديل[٣٩].

ومن هنا فإن المقابلة هي "حوار لفظي بين فردين أو أكثر في موقف المواجهة ويحاول أحدهما أن يستثير بعض المعلومات أو التغيرات لدى الآخر حول خبراته وآرائه ومعتقداته"[٤٠]

فالمقابلة ليست مجرد حادثة، ولكنها فوق ذلك حوار، ولابد للمقابلة كي تلقى نجاحا أن توهب الحرارة والتبادل الشخصي الذين يوهبان الحوار، وهنا على الباحث ألا يفرط في التبسيط والود حتى لا يفلت زمام المقابلة من بين يديه ولابد أن يبقى بعض من الطابع الرسمي وإلا صعب السيطرة على الراوي المجيب وفقد الباحث الثقة، فعلى الباحث أن يحافظ على التوازن بين حد التعامل الإنساني الودود والتأكد على أنه ليس أرفع من جمهور رواته وحد التعامل الواضح من أنه في النهاية لديه عمل لابد أن ينجزه بنجاح[٤١].

وتعتبر المقابلة إحدى الأدوات الهامة التي يستخدمها العالم المتخصص في العلوم الاجتماعية، والذي يستخدم هذا الأسلوب سوف يبدأ بسؤال شخص ما مجموعة من الأسئلة العامة، وعندما يتلقى إجابته فإنه يتتبع نقاطا معينة عند طرح أسئلة أكثر تحديدا إلى أن يصل إلى حد "فهم" الموضوع برمته.

وقد استعانت الباحثة بهذه الأداة من خلال التساؤلات التي أعدتها في دليل العمل الميداني والذي تضمن كل عناصر الدراسة وذلك في تصميم دليل عمل خاص للدراسة الحالية من أجل تحقيق أهداف الدراسة.

الإخباري:

لا تغني أدوات جمع المادة من الميدان سواء الملاحظة بنوعيها أو المقابلة بأنواعها عن الاستعانة بالإخباريين حيث أن الإخباري هو الشخص الذي يقدم المعلومات الوافية للباحث الميداني وتفسير ما يلاحظه[٤٢]، حيث أن هناك بعض المعلومات لا يستطيع الباحث الحصول عليها إلا من خلال الشخص الإخباري ومن هذه المعلومات على سبيل المثال: "التاريخ الشفاهي للمجمع" أي الحديث عن الماضي والتغيرات التي لحقت بالمجتمع سواء هذه التغيرات بالسلب أو بالإيجاب فلا يستطيع الباحث الحصول على مثل هذه المعلومات بالملاحظة أو غيرها إلا من خلال الشخص الإخباري وغالبا ما يكون الحديث عن الماضي من خلال كبار السن، حتى يكون عندهم الدراية الكافية بتاريخ المجتمع القديم وهذا لا يعني أن نغفل دور الشباب الذي يمثل فترة زمنية حديثة ومعرفة بعض التغيرات التي لحقت بهم وخاصة العادات والتقاليد القديمة والسبب في عدم تمسكهم بهذه السلوكيات القديمة.

يعتبر الإخباري أهم مصدر من مصادر جمع البيانات المتعلقة بأنماط التفكير وتصور الشخص أو الأشخاص التي يتم التركيز عليهم للأحداث التي تدور حوله وتفسيره لها ونظريته بل الآخرين، وتقويمه لسلوكهم أكثر ما يهتم بجمع المعلومات الوصفية لهذا السلوك أو رصد الأحداث ذاتها كما يراها الباحث.

وترى فاتن أحمد علي: أن الإخباري يعد مصدرا مهما من مصادر الحصول على البيانات، وقد يمكن الاستعانة بالإخباريين للتأكد من صحة بعض البيانات التي جمعت بوسائل منهجية أخرى، وفي تفسير بعض العناصر والموضوعات التي يتعذر إدراك أبعادها بالملاحظة وحدها[٤٣].

وترى الباحثة أنه لا يمكن الاستغناء عن الإخباري في جمع المعلومات خاصة في الدراسات الانثروبولوجية حيث أن الإخباري هو مصدر المعلومات بالنسبة للباحث بشرط أن يكون الإخباري على وعي بمعظم الأمور داخل المجتمع ولديه ذاكرة قوية يستحضر بها الماضي وأيضا القدرة على التخاطب وسوف يطبق معه دليل العمل الميداني مع مراعاة أن يكون الإخباريين من مراحل عمرية مختلفة وذات أصول عرقية مختلفة حتى يكون هناك تمثيل واقعي وصحيح للمجتمع للتعرف على أكبر قدر من الآراء والمعلومات المختلفة للوصول إلى الصورة العامة للمجتمع.

وهناك نقطة هامة: وهي من خلال المقابلات مع الإخباري عندما تكون هناك ثقة متبادلة بين الطرفين فإن الإخباري يدلي ببعض المعلومات التي قد كان ينكرها في المرات السابقة إنه كلما كان هناك ترابط قوي بين الباحث والإخباري كلما أعطي الإخباري المزيد من التفاصيل حول أي تساؤل حتى ولو كان من الموضوعات الخاصة وبذلك يمكن تحقيق الهدف من هذه الدراسة.

السجلات الرسمية:

سوف تعتمد الباحثة على العديد من السجلات والوثائق والخرائط التي تحقق الهدف من الدراسة مثل:

أ) البيانات على المستوى القومي.

ب) مركز المعلومات بمحافظة الجيزة.

ج) مجلس مدينة الواحات البحرية.

دليل العمل الميداني:

يعتبر دليل العمل الميداني من أهم وسائل جمع المادة الميدانية بل وهو الأداة الرئيسية، وقد يستعين الباحث بدليل العمل الميداني كموجه في استخدام أسلوب الملاحظة، "فيسترشد بأسئلته المختلفة في استيفاء النقاط أو العناصر المختلفة لظاهرة من الظواهر"[٤٤] ، حيث أن الدليل عبارة عن مجموعة من التساؤلات التي يضعها الباحث قبل نزوله للميدان ويحاول الإجابة عليها من خلال المقابلات مع أبناء مجتمع البحث، وتكمن أهمية الدليل في كونه أداة رئيسية يمكن من خلالها ضبط وإحكام عمليات الجمع العشوائي، أي أنها بمثابة الخطوط الرئيسية التي يسير عليها الباحث حتى يصل إلى أهداف البحث المرجوة.

مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الدليل قابل للإضافة حتى كتابة التقرير النهائي للدراسة. أي كلما جد جديد من التساؤلات أثناء إجراء الدراسة الميدانية فسوف يتم إضافتها إلى دليل العمل الميداني.

العلاقات الاجتماعية والجيرة:

تلعب العلاقات الاجتماعية الدور الاساسي والمهم في حياة الإنسان، وذلك من منطلق أن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعة الحال، فلا يوجد مجتمع صغير أو كبير يستطيع أفراده أن يعيشون بمعزل عن الآخرين. أى أنه لابد من ضرورة اتصال

واحتكاك بالآخرين وذلك لخلق نوعا من التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات الذين يعيشون في منطقة واحدة أو إقليم واحد بغرض إقامة علاقات اجتماعية تظهر في كافة المجالات الحياتية من خلال المعاملات المتبادلة.

ومن هنا يعني التفاعل الاجتماعي مدى التأثير والتأثر المتبادل بين الكائنات البشرية في ضوء مدى الاحتكاك بين بعضهم البعض. حيث أن التفاعلات تؤدي إلى إقامة علاقات قد تختلف في طبيعتها، ولكنها تنشأ علاقات بسيطة، تندرج إلى علاقات مركبة ثم إلى علاقات مترابطة ومتشابكة، وتداخل وتشابك العلاقات يظهر صوراً متعددة للتفاعل، ومن الصور الهامة للعلاقات الاجتماعية علاقة الجيرة في المجتمع لما تكشف عنه هذه العلاقة من خصائص تختلف بإختلاف المكان، وباختلاف النشأة للمجتمع، فالمجتمع الجديد قد تبدو فيه هذه العلاقة للجيرة غير مترابطة أو سطحية، على عكس مجتمع تاريخي قديم تلعب فيه هذه العلاقة دوراً أساسياً في معاملات المقيمين كافة(٤٥).

أي أن العلاقات الاجتماعية هي محور التنظيم الاجتماعي، وهي لا تنشأ إلا من خلال تكرار التفاعلات للأفراد مع بعضهم بحيث ينتج عن المداومة على هذه التفاعلات اطار معين من التوقعات، فإذا لم يوجد هذا الاطار لا يمكن أن يطلق على أى نوع من الاتصال الذي يحدث بينهم اصطلاح العلاقة الاجتماعية التي يتضمنها النسق الاجتماعي(٤٦).

وهنا يقصد بالعلاقات التفاعلية ذلك التنظيم الاجتماعي بشبكة العلاقات الاجتماعية التعاونية والتكاملية التي تُمكن الأفراد كمجموعة من التأقلم أو بمعنى آخر هو عبارة عن اندماج أو صهر الأفراد في علاقات اجتماعية منتظمة من شأنها تيسير وتسهيل عملية تأقلم السكان مع البيئة(٤٧).

فالتفاعل الاجتماعي محوراً لإقامة العلاقات الانسانية والعلاقات الاجتماعية كافة التي تؤدي التفاعلات بين الأشخاص وبعضهم البعض، وبين الأشخاص والجماعات الذين يكونون المجتمعات، فالمجتمع ليس حالة ثابتة سلبية فهو يتميز بالفعل الموجه نحو أهداف متبادلة ومشتركة تأخذ في الاعتبار الصالح العام للعائلات وللجوار وللمدينة الأكبر والدولة والأمة(٤٨).

كما أن العلاقات الاجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر تبعاً لنوع هذا المجتمع إذا كان مجتمع ريفي أو مجتمع حضري أو بدوي بل ويختلف داخل المجتمع ذته مثل الأحياء الشعبية في المجتمعات الحضرية، ولذلك تختلف طبيعة العلاقات الاجتماعية في نطاق المجتمع من التفاعلات السريعة والطارئة إلى التفاعلات الأكثر استمراراً كما نرى في نطاق العلاقات الزواجية، وعلاقات الصداقة، وعلاقات الجوار، وهي علاقات تتميز بصة الدوام والاستمرار، ويمكن أن توضح البناء الاجتماعي وما يحويه من أنماط متعددة للعلاقات الاجتماعية، كما يمكن أن تكون مؤشراً هاماً للقبول الاجتماعي، بل وقد يترتب عليها حدوث نوع من التكيف

الثقافي نتيجة لقيام المشاعر والاتجاهات وأنها تتضمن في واقع الأمر ترابطاً وتعاونًا ومعرفة متبادلة [٤٩] وذلك من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يمثل في الواقع عملية اجتماعية تتمثل في أنماط الاتصال، والعلاقات المتبادلة في فردين، أو جماعتين' أو أكثر، كما يمكن القول بأن التفاعل بين الأفراد يعكس حقيقة سلوكهم الاجتماعي.

ويمكن دراسة التفاعل الاجتماعي داخل المجاورة السكنية من خلال المؤشرات التالية:

- حجم ونوعية علاقات الجيرة.
- الاتجاه نحو الجيران.
- نوع العلاقات التي تتخطى مستوى الجيرة. تكون أكثر ملائمة لنمط الصداقات التي تنشأ وفق معايير معينة[٥٠].

ومن هنا يمكن تعريف التفاعل الاجتماعي: بأنه العلاقات المتبادلة بين الأشخاص أو الجماعات الناتجة عن عمليات الاتصال بين البشر وبعضهم البعض سواء كانوا أفراد أو جماعات، ويؤدي هذا الاتصال إلى التأثير والتأثر بالآخرين حيث أن التفاعل عملية ديناميكية مستمرة تتسم بالتبادل مع الآخرين. ومن الواضح أن العمليات الاجتماعية تقوم في أساسها على عمليات التفاعل Interaction كما يطلق على هذا التفاعل " العمليات الاجتماعية" والتي غالباً ما تأخذ شكلين هما " التعاون" أو "الصراع" بين البشر.

ويذهب "غريب سيد أحمد" إلى أن "التعاون" و"الصراع" عمليتان نسبيتان في كل جماعة وتبدو عملية التفاعل في ثلاث مستويات بين الجماعات، بين الأفراد وبين الأفراد والجماعات، وبذلك فهناك نموذجان أساسيان في التفاعل الاجتماعي وهما: "التعاون" ويقود إلى الوحدة، "والتناقض" الذي يقود إلى عدم الوحدة ويظهر التعاون في العلاقات المحددة، بينما يبدو التناقض في حالة البعد الاجتماعي، هذا ... ويبدو التنافس في شكلين أساسيين هما: "الصراع" و"التنافس" ، ويعتبر التنافس أقل درجة مما هو عليه في الصراع، ومن البديهي أن يكون هناك ثمة اتصال اجتماعي سواء بين الأفراد أو الجماعات حيث ينشأ تفاعل اجتماعي، قد يبدو في صورة تعاون فيؤدي إلى الوحدة، أو تعارض فيؤدي إلى عدم الوحدة[٥١].

التفاعل الاجتماعي بين الجماعات الاثنية:

في الواقع أنه عندما يهتم الباحثون بدراسة الاتصال الثقافي، فإنهم يهدفون أساساً إلى الكشف عن نوعية العلاقات الاجتماعية التي ترتبت على الاتصال، وليس الأمر مجرد اكتساب أنماط أو سمات ثقافية جديدة، وإنما قد يترتب عليه بطريقة واضحة ظهور نوع جديد من العلاقات الاجتماعية وإذا اشتمل النسق الاجتماعي على جماعات اثنية متعددة، فان الاتصال بينهما يكون نسبيا فقد يترتب عليه في المدى الزمنى الطويل نوع من التكيف أو التمثيل الثقافي تبعا للعوامل المرتبطة به والتي قد تسرع أو تبطأ أو تحول دون تحقيقه.

غير أن الاتصال لا يسير دائما على وتيرة واحدة نحو التكيف أو التمثيل الثقافي، أو يتبع مراحل متدرجة على النحو الذي أشار إليه عدد من الباحثين والعلماء مثل "بوجاردس" ، و"براون"، أو بارك R. Park، أو جليك Glick وغيرهم من الذين ذهبوا إلى حتمية حدوث التمثيل الثقافي بين الجماعات الاثنية بعد دورة محددة من العلاقات، تبدأ بالاتصال وتنتهي بالتمثيل الثقافي(٥٢).

وعلى سبيل المثال، يرى براون W.Brown أن العلاقات الاجتماعية بين الجماعات الاثنية تمر بالمراحل التالية:

١- الاتصال الأولي Initîal contact، ويمثل حد أدنى من الاتصالات الاجتماعية الفعلية، ويتميز بأنه مشوب بعداء واضح وخوف واستغراب.

٢- بزوغ الصراع Emergence of conflict حيث تتضارب وتتعارض فيما يتعلق بالمصالح ووسائل البقاء والمركز الاجتماعي.

٣- التوافق المؤقت Temporary Accomodation حيث يسود التفاهم والتبعية بالنسبة للأضعف، وإذا كان حجم الجماعة الأضعف صغير فربما تستغرق في الجماعة المسيطرة.

٤- الكفاح من أجل المكانة Struggle for status حيث ثقافة الأدنى تبدأ في التفكك، ونادرًا ما يحاول نسق اجتماعي العيش من خلال الخضوع والتبعية المطلقة.

٥- التعبئة Mobilization حيث يستمر الكفاح من أجل المكانة ويتعمق، بمعنى أن كل جماعة تحرك قواها.. فالجماعة السائدة تعبئ ايديولوجيتها وتضع البرامج للدفاع عن مصالحها، بينما الجماعة التابعة تبدأ في إظهار شعورها الاثنى.

٦- المرحلة الأخيرة، حيث يرى براون أن ثمة نتائج ثلاثة، فإما العزلة التامة وهي ليست عملية لأنها لا تهدد مصالح الجماعة السائدة وتثير غضب الجماعة الأدنى، وإما الخضوع والتبعية فهو أمر صعب لانتشار المثل العليا التى تجعل الناس يرفضون الخضوع والاستسلام وإما التمثيل الثقافي والاندماج وهذا من المتعذر تجنبه(٥٣).

كذلك يرى بانتون Banton أن المراحل المختلفة التي تمر بها العلاقات الاجتماعية بين الجماعات الاثنية لابد أن تؤدي إلى التمثيل الثقافي. وتبدأ هذه المراحل عنده بما يسميه المرحلة المحيطة أو الهامشية حيث ليس تفاعل واضح، ثم يزداد الاتصال وتتكثف العلاقات لتصطبغ بالصيغة التنظيمية حيث الاتصال المنظم، بعدها تضعف حدة المنافسة والصراع التى تسود هذه المرحلة، وتنقل الجماعة إلى مرحلة التوافق، ثم لا تلبث العلاقات أن تدخل مرحلة التمثيل الثقافي(٥٤).

وغني عن البيان أن هذه المراحل لا يمكن أن تكون قاعدة ثابتة بين الجماعات الاثنين ولكن تختلف هذه المراحل تبعا لظروف الجماعات الاثنية وظروف الاتصال الثقافي بين الجماعات وبعضها البعض ومدى التفاعل الاجتماعي بين هذه الجماعات والذي يوضح حجم العلاقات الاجتماعية ونوعيتها، حيث أن العلاقات بين الجماعات المختلفة – الاثنية لا تسر دائما على وتيرة واحدة.

ويعرض فاروق إسماعيل في دراسته للعلاقات الانسانية بين الجماعات الاثننية (العرقية) في منطقة امتداد مريوط في الصحراء الغربية المصرية بغرض التعرف على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين جماعات عرقية عديدة تقطن الساحل الشمالي الغربي وتم اختيار نماذج من العلاقات الاجتماعية كالزواج والجوار والصداقة ورأى السبب لاختيار هذه النماذج يرجع إلى أنها تتميز بالدوام النسبي أو الاستمرار، كما أن لها تأثير كبير في حياة الفرد والجماعة كما أنها "نماذج العلاقات" تشير إلى علاقات "التقارب" كما أسماها "فرديناند تونيز Ferdinand to nies سواء أكان التقارب قائما على علاقات الدم أو القرابة أو التقارب الفيزيقى (الجوار) أو التقارب العقلي أو الفكري، ولا شك أن معالجة مثل هذه الموضوعات لها أهمية خاصة إذ أنها تلقى الضوء على الحدود والفواصل الاجتماعية ودرجة القبول الاجتماعي (٥٥). وسوف تتخذ هذه الدراسة هذه النماذج لتوضيح طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع الواحات البحرية.

ولا شك أن الاتصال ضروري لحدوث التكيف أو التمثيل الثقافي، ولا يُقصد بالاتصال هنا الاتصال الفيزيقي، وإنما أقصد الاتصال ذو الصبغة الاجتماعية، فالاتصال فى حد ذاته غير كاف لحدوث التكيف، فقد يترتب عليه انتشار أو انتقال بعض السمات الثقافية، ولكنه لا يرقى إلى مستوى التكيف أو التمثيل الثقافي إلا إذا أصبح مجال التفاعل بين جماعتين عرقيتين مثلا من السعة والعمق بحيث يمتد ليشمل جوانب من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... والتي قد تتيح الفرصة مع مرور الوقت لقيام العلاقات الشخصية الوثيقة كالتزاوج أو الصداقة أو الجوار.. وكلما ارتفعت معدلات حدوث التزاوج أو الجوار .. وكلما ارتفعت معدلات حدوث التزاوج أو الصداقة أو الجوار بين جماعتين أمكن القول أن ثمة اتجاها ناميا نحو التمثيل الثقافي(٥٦).

وسوف تتخذ هذه الدراسة من علاقات الجيرة محورا أساسيا لتوضيح طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع الواحات البحرية أي العلاقات بين أبناء المجتمع الأصليين والجماعات الوافدة مع إبراز صور التعاون والصراع في هذه العلاقات.

الجيرة: المفهوم والأبعاد

يرى Queen و Carpenter أن الجوار Neighborhood يشير إلى "منطقة تعيش فيها مجموعة من الأفراد يعرفون بعضهم البعض، وقد يتبادلون الخدمات والأشياء المادية كالأدوات والمعدات وبصفة عامة يقومون بأعمال مشتركة. في حين نجد أن Ruth Glass ترى أن "الجوار يشير إلى جماعة محلية يتقابل أعضاؤها من أجل دوافع مشتركة من خلال منطقتهم الخاصة، لهم اتصالاتهم الاجتماعية المنظمة على الرغم من أنها وإن كان هذا التعريف تكرارا لتعريف كل منQueen and carpenter إلا أنه أكثر دقة، بيد أن هناك اختلاف أساسي إذ أن التعريف الأول يركز على أن الجوار منطقة area فى حين أن الثاني يرى أن الجوار جماعة group(٥٧).

وقد جاءت الجيرة التقليدية في تراث العلوم الاجتماعية: بأنها جماعة أولية غير رسمية تتواجد داخل منطقة ذات علامات معروفة وتتضمن الجيرة مجموعة من الأسر ترتبط فيما بعضها بعلاقات صداقة تتصف بالاستمرار النسبي وتتواجد داخل منطقة حدودية وتتأثر علاقات الجيرة بدرجة التجانس الاجتماعي، ومتوسط فترة الإقامة في هذه المنطقة.

ويقول محمد الجوهري: تعتبر جماعات الجوار وحدات اجتماعية ذات كيان واضح المعالم يلتزم أفراده إزاء بعضهم البعض بعديد من العلاقات وصور المساعدة، ولا يلزم بطبيعة الحال أن تكون جماعة الجوار الواحدة مكونة من مجموعة من الاسر القريبة التي تنتمى لعائلة واحدة، حقيقة قد يكون الوضع كذلك في بعض الحالات، ولكنه ليس أمراً حتميا، فالعلاقة هنا بين أسر، قد لا تربطها صلة قرابة، وإنما تربطها الإقامة في مكان مشترك والشيء الملفت لجماعة الجوار أنها لا تتطلب الود والألفة الشخصية كشرط لقيام التعاون وإنما المبدأ الاساسي الذي يحكم ذلك التعاون هو المعاملة بالمثل(٥٨).

ويذهب جيرولدهيس J.Heiss إلى أن الميل إلى نمط معين من الجوار الذي يجذب مجموعة بعينها من الاشخاص يعتبر بمثابة مؤشر هام نحو تحقيق التكيف أو التمثيل الثقافي ومن ثم فإن معالجته تؤدي إلى إلقاء مزيد من الضوء على التعايش المشترك للجماعات الاثنية التي تتاح لها فرصة الاحتكاك والتفاعل(٥٩). ولن ينسى الإسلام الجار وحدود الجيرة التي حددها بأربعين دارا من كل ناحية أو هي المدى الذى يصل إليه الصوت عند النداء، أو صوت المؤذن وقت إقامة الصلاة ، وفي الإسلام كان هناك تأكيد دائم على وجود مراتب للجيرة ، أفضلها الجيرة القريبة – الأقرب باباً – وهناك اتجاه واضح لتفضيل الجيرة القريبة الرأسية والأفقية ، وتأتي الجيرة الرأسية في المقدمة حيث تفضل الغالبية من الأسر جيرانها في نفس المنزل وسكان المنزل ينقسمون إلى جيرة رأسية في طوابق متعددة، وأفقية في نفس الطابق، وهنا يفضل الجيرة الأفقية حيث المساعدة السريعة في وقت الأزمات وبدون رسميات(٦٠).

وأحيانا يستخدم مفهوم الجيرة بمعني الضاحية ويترجم إلى Neighborhood والتي عادة ما تتصف بعدة أبعاد مركبة، ففيها قرارات بشأن مواقع الأعمال التجارية، وبشأن الرعاية الصحية والأمان الاجتماعي، وفيها شبكة

العلاقات غير الرسمية، ونظم الدعم الموجودة بين الأسر والجيران، والأصدقاء، وزملاء العمل، وأعضاء المؤسسات التطوعية(٦١).

وترى الباحثة أن الجيرة : هي عبارة عن مجموعة من السكان تعيش جنبا إلى جنب داخل منطقة جغرافية ذات حدود معروفة، يحدث بين هؤلاء السكان نوع من التفاعل الاجتماعي وهذا التفاعل يؤدي إلى علاقات سواء: كانت حميمة ، أو غير ذلك – أي تتوقف نوع العلاقة بين أعضاء المجتمع على مدي الارتباط والاندماج

بين الأفراد أنفسهم. وأننا حين نعالج الجوار في مجتمع الواحات البحرية – مجتمع الدراسة – فإننا نهدف إلى إلقاء مزيد من الضوء على التعايش المشترك بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة والتي أتيحت لها فرصة الاتصال والتفاعل مع بعضها البعض نتيجة التجاور في الإقامة أو في العمل.

حيث يعيش أبناء المجتمع الأصلي جنباً إلى جنب مع الوافدين أياً كانت جماعتهم العرقية التي ينتمون إليها. حيث أن هذه الجماعات الوافدة مع الجماعة الأصلية تشكل المجتمع ككل ولا نستطيع أن نفصل إحداهم عن الآخر حيث يمثل الجوار سواء في المسكن أو في العمل السمة الأساسية لهذا المجتمع وذلك لقرب المسافة بينهما. أي أن الجار هو الأقرب في المسافة وليس بسبب الألفة والمودة وأنه ليس بالضروري أن يكون الجار صديق.

أي أن هذه الدراسة تكشف لنا عن مدى العلاقة بين الجماعة الأصلية in-group والجماعات الوافدة Out groups وكذا عن طبيعة العلاقات والاتجاهات وأنماط السلوك التي تسود بين هذه الجماعات الوافدة والأصلية.

ويذهب Levine and Cambell في كتابهما Ethnicity إلى تحديد هذه الاتجاهات بالنسبه للجماعة الذاتية In-group والجماعة الأخرى Out-group فالأولى تنظر إلى نفسها على أنها أسمى وأرقى الجماعات وترى قيمها Values على أنها جوهرية وأصلية وشامله وأخلاقية، في حين أن الجماعة الأخرى Out group جماعة من الغرباء وهي أدنى في المِنزلة والمكانة قيمها وعاداتها وطرقها الشعبية تفتقر إلى الأصالة والشمول[٢٢]. وهذا ما سوف تكشف عنه الدراسة الميدانية. آخذين في الاعتبار أن الجوار هنا يشير إلى الذين يعيشون معا في أماكن متجاورة رغم أن لكل جماعة طريقها وأسلوبها في الضبط الاجتماعي، وأنهم قد يلتقون من أجل مصالح مشتركة ومن أجل مناشط اجتماعية رغم ما لديهم من اتجاهات متباينة واضحة تكونت من خلال نظرتهم إلى أنفسهم "أصلي – وافد" أي "نحن – هم".

علاقات الجيرة:

تلعب الجيرة دورا هاما في حياة البشر، وذلك من خلال نوع وحجم هذه العلاقات التي تسود بينهم، ونظرا لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعة الحال فإنه غالبا ما يسعى إلى معرفة الجيران والتفاعل معهم بغرض الشعور بالأمان والاحتماء بهم، خاصة في المجتمعات البعيدة – إذ ربما تكون الجيرة الجديدة خير عوضا عن الأهل الذين تركهم في موطنه الأصلي. وبالطبع تتوقف نوع العلاقات وحجمها على مدى التفاعل بين الجيران، و مما لا شك فيه أنه في غالب الأمر ما يؤدي الحذر والحيطة بين الجيران إلى عدم وجود العلاقات الوطيدة بينهم.

وغنى عن البيان أن الجيرة غالبا ما تأخذ صورا مختلفة بين البشر منها "الصراع – التعاون – المنافسة" وكل شكل من هذه الأشكال يُظهر إلى أي مدى تكون العلاقات بين الجيران وهذا ما سوف يتضح من خلال عرض المادة الميدانية.

صور التعاون بين الجيران:

إن طبيعة المجتمع البشري تفرض عليه غالبا سمة التعاون وإن اختلفت هذه السمة من فرد لآخر، فلم نرى أن شخصا ما قد عاش بمعزل عن الآخرين أو شعبا من الشعوب قد فرض العزلة على نفسه وعاش بمفرده وإن حدث ذلك فلا بد من وجود صور للتعاون الداخلي بين هذا المجتمع حتى يستطيع الحياة.

ومجتمع الواحات البحرية كأي مجتمع قد عاش زمنا طويلا بمعزل عن المجتمع الكبير وقد كان السبب وراء هذه العزلة النسبية هي الظروف الجغرافية وسوء الطرق المؤدية إليه .. وكان في فترات من الزمن مجتمع طارد للسكان. ولكن تغيرت الأحوال وأصبح مجتمعا جاذباً للسكان يضم العديد من الأنماط الثقافية المختلفة الوافدة إليه والتي عاشت جنبا إلى جنب مع الجماعة الأصلية – أي التي سبق لها التمركز داخل الواحة من سنوات طويلة ويقال عنها أنها أقدم العائلات تواجدا واستقرارا بالواحة.

ويقول الإخباري([١] ٥٨ سنة، متوسط، م ٥، الحيز): إن طبيعة الصحراء تحتاج إلى الكثرة العددية حتى الآن فالواحة تحتاج إلى المزيد من الجماعات الوافدة وزمان ونحن صغار كانت الواحة عبارة عن تجمعات سكنية صغيرة بجوار بعضها ومن يفد إليها يستوطن بجوار من سبقوه وقريب من الكتلة السكنية وذلك حتى يشعر بالأمن والأمان من خلال جيرانه، أي "يتونس بجيرانه" حتى لو خرج للعمل في أي مكان بعيد عن التجمع الذي يعيش فيه يشعر بالراحة وعدم القلق على زوجته وأولاده لأنها تعيش مع جيرانها وربما يكون الجار أفضل من الأخر وعلى رأي المثل "الجار ولا الأخ" قالوا الصالح في الاثنين أو الأنفع في الاثنين ولكن غالبا من قديم الزمن من يفد إلى الواحة ويجد الأرض الخصبة والماء قريب من سطح الأرض أو الماء المتدفق من العيون يستوطن بالواحة ولا يعود إلى موطنه الأصلي لأنه وجد مقومات الزراعة "الأرض الخصبة – الماء" وبالطبع كان من يأتي إلى الواحة سواء للتجارة أو بحثا عن الرزق فيها ويجد أحدا من أقاربه فيسكن بجواره أو حتى إذا كان من بلدته – الموطن الأصلي – وبالتالي نجد أن الواحة عبارة عن مجموعة تجمعات سكانية وهي مجموعة القرى والعزب التي تكون الواحة البحرية وكلها عبارة عن عائلات تعيش في منطقة سكنية واحدة أي أن أولاد "مرزبان" تعيش بجوار بعضها في مكان محدد حتى إذا أراد أي فرد الزواج نبني له بيتاً بجوار بيوتنا. لأن الناس غالبا أقامت بيوتها بجوار مزارعها – أرضها الزراعية –وتوجد أراض واسعة بين البيوت تسمح بالبناء وليس هناك أية مشكلة فأنا أعيش بجوار أخوتي وكل واحد له بيت مستقل وكذلك كل واحد عنده أرض فضاء كبيرة للأبناء في المستقبل وكل عائلة تقريبا تجدها بجوار بعضها وهذا في الغالب.

ولكن تغيرت الأوضاع بعد استصلاح مساحات كبيرة من الأرض جلبت إليها العديد من الجماعات الوافدة من الفيوم والمنوفية والشرقية والبرلس .... وكلها أقامت بيوتا واستوطنت الواحة وعاشت معنا في سلام ودون مشاكل تُذكر لأن طبيعة البشر لا تحب الزحام، والزحام هو سبب المشاكل، والواحة حتى الآن ولسنوات طويلة وحتى إذا وفد عليها استوعبت أضعاف ما بيها من سكان فإن نشعر بالزحام الذي يتسبب في كثير من المشكلات بين الناس والجميع هنا يعيش في سلام ومحبة ومودة وتعاون، والتعاون متبادل بين الناس في معظم الحالات فبقدر الأخذ يكون العطاء وأيضًا الناس تلجأ إلى بعضها في الشدة أي أن الجار يلجأ إلى جاره في الشدة كعون وسند في أي وقت وعند حدوث أي ظروف مثل "الأفراح – الأحزان - المرض" ففي الأفراح مثلا عند زواج ابنتي الكبيرة تجد الناس الجيران تجامل في هذه المناسبة، على سبيل المثال تجد أحد الجيران "يعزم" علىً بالفلوس كمساعدة في الفرح لحين الانتهاء وبعد ذلك أردها له "كسلف" وبعض الجيران تجامل بالأرز والسكر والشاي والحلويات.... الخ.

وأثناء الفرح أي عند إعداد متطلبات العروسة من "كعك وخلافه" تجد النساء تتجمع عند أهل العروسة في بيتها ويقمن بالمشاركة في إعداد "الخبز" اللازم للفرح وطهى الطعام وعمل "الكعك والبسكوت اللازم للفرح" وتجد الجيران من النساء في هذه الأيام لا تبارح بيت العروسة إلا بعد إتمام لوازم الفرح فتجد من تقوم "بالعجين وأخرى بالخبيز وثالثة تحمل العيش العجين إلى الفرن وتأخذه بعد أن يستوى "وبعض النساء تقمن بطهي الطعام وأخرى تحضر الحطب لإشعال الفرن، وكل ذلك مصحوب بالغناء والزغاريد.

أما بالنسبة للشباب والأطفال فيشاركون في هذه الظروف بالطبل والرقص وأثناء نقل الأشياء الخاصة بالعروسة "عفش العروسة" إلى بيت الزوجية فيتسارع الشباب والأطفال في تحميل أو حمل هذه الأشياء من بيت العروسة إلى بيت الزوجية ... وأثناء عمل كعك وبسكوت العروسة يقوم الأطفال الصغار بحمل "الصاجات" التي توضع عليها الكعك والبسكوت ومساعدة الأمهات في هذه العملية أو تنظيفها ... الخ.

وكل ذلك يوضح مدى التعاون بين الجيران والأكثر من ذلك إذا كان واحد عنده مريض ويحتاج إلى سيارة تنقله إلى الطبيب أو المستشفى في أي وقت من الليل فلا يوجد أي حرج من أن يرسل إلى جاره الذي عنده سيارة ليقوم بنقله إلى الطبيب.

ولن تتوقف الجيرة على التعاون في المنازل ولكن كثيرا ما يكون التعاون في الحطايا - الحقول – فالجار يساعد جاره في الزراعة أو الري أو أن يأخذ منه بعض الأدوات اللازمة للزراعة مثل الطرية "الفأس" أو المحشة" الشرشرة. وفي وقت الراحة أو الفراغ يتجمع الرجال في أحد الحقول ويشربون الشاي ويتبادلون الحديث حول الزراعة أو أي موضوع يشغل بال أحدهم وإذا كانت هناك انتخابات لمجلس

الشعب أو الشورى أو المحليات يدور الحديث حول هذه الموضوعات أي أن الموضوعات التي يتبادلون الحديث عنها غالبا لا تكون مرتبة أو مقصودة ولكن الجلسة تفرض أنواع الحديث سواء كان في الزراعة أو عن سوء المرافق والخدمات أو غير ذلك ولا ننسى أن النبي صلى الله عليه وسلم وصى على الجار حتى كاد أن يرث في جاره...

ويقول الإخباري ([٢]، ٤٨ سنة، متوسط ، م +١، الباويطي): إن مجتمع الواحات البحرية غالبا شبه متجانس ولا يوجد فيه تفاوت طبقي كبير أي لا يوجد "الغنى الفاحش" كبار الملاك والمعدمين جدا لأن المجتمع كله قائم على الزراعة والمساحات مرتبطة بكمية الماء، والمجتمع يحب الغريب ويحب أن تكون بيننا وبين الناس علاقات قوية وربما يكون السبب وراء حب الغريب هو التعرف على ما يحمله من ثقافة وما يمكن أن نستفيد منه لتنمية الواحة والدليل على ذلك ارتباط أبناء الواحة بالوافدين في منطقة "القصعات" لأنهم جاءوا ومعهم أفكار جديدة في الزراعة على سبيل المثال كانت الواحة تعيش في عهد الأجداد على نمط واحد في الزراعة وهو زراعة النخيل والزيتون ثم يأتي التجار من الصعيد عن طريق دروب في الجبل ويتبادل أهل الواحة ما عندهم من زراعات (بلح –زيتون) مع ما جلبه التجار معهم من طعام مثل (الدقيق – السكر – الشاي – العدس - العسل الأسمر ... الخ) أي "نظام المقايضة".

ولكن بعد وجود جماعات من المنوفية والفيوم وغيرهم بالقصعات وزرعوا الأرض بزراعات جديدة مثل "البطاطس – الطماطم – البسلة – الخيار .... الخ" كلها زراعات لم تكن نعرفها من قبل أدى إلى وجود الخضروات الطازجة بالواحة بدلا من أنها كانت تأتي من خارج الواحة غير طازجة، كما أن أبناء الواحة شاركوا الوافدين في الزراعة وتعلموا منهم هذه الزراعات التي أصبحت تفيض عن حاجات الواحة وأصبحت تصدر إلى بلاد وادي النيل.

وبالطبع العمل في المجال الزراعي بالمشاركة أدى إلى وجود نوع من التعاون بين أبناء الواحة والوافدين كما ساعد ذلك على وجود نوع من العلاقات إمتد في الأسر الغير متجاورة وعلى سبيل المثال في الحطايا – الحقول - يتبادل الجيران منتجات حقولهم بمعنى إن كان هناك شخص عنده طماطم يهديها إلى جاره الذى لم يزرع هذا الصنف وهكذا يكون التبادل بين الجيران، كثيرا ما يتزاور الجيران وأسرهم مع بعضهم وخاصة في المناسبات مثل الزواج أو في حالات الوفاة أو غير ذلك من المناسبات، ففي حالات الوفاة مثلا يقدم الجيران الطعام لأهل المتوفي ويقفوا معهم حتى ينتهوا من الحداد وبالنسبة للزواج لابد من مساعدة أهل العروسين من الجيران سواء بالمال إذا لزم الأمر أو بالهدايا العينية مثل "السكر – الأرز- الشربات... الخ".

وحديثا أصبح الجيران يتبادلون الهدايا في نجاح الأولاد في التعليم فقد يقدم الجار إلى جاره "صندوق بيبسي أو شيكولاته أو سكر أو شربات عند نجاح أحد الأولاد...".

وربما ترجع هذه العادة الجديدة إلى ما لاحظه أبناء الواحة عند أبناء الوافدين أو قام بها الوافدون أو المتعلمون الكبار من الواحة إلى ذويهم ولكنها أصبحت الآن ظاهرة منتشرة في الواحة وهي المجاملات من الجيران في نجاح الأولاد سواء من الأهل أو من الجيران دون الأهل.

كما أن علاقة الجيرة بين النساء قد يتضح منها صور التعاون بين الجيران وبعضهم عن طريق مساعدة الجيران لبعضهم في الأعمال المنزلية وخاصة "الخبيز" لأنه يحتاج إلى أكثر من امرأة. وحديثا ظهرت عمل "الجمعية" بين الجيران فعلى سبيل المثال إذا شعرت إحدى النساء بتدهور الحالة المادية عند جارتها أو شعرت بضيق حالها وخاصة عند دخول المدارس فتقوم إحدى الجيران بعمل "جمعية" سريعة تجمع فيها بعض الأموال وتعطيها لجارتها المحتاجة حتى "تفك" أزمتها – أي تخرج من أزمتها المالية – وربما يكون ظهور هذا الأسلوب من جمع الأموال "الجمعية" راجعا إلى مدى تغير فكر الناس نحو كيفية التصرف في مثل هذه المحن – وإن كانت الواحة قبل ذلك لا تسمع عن هذا التصرف والذي ربما يكون قد ظهر أولا بين الموظفين من النوعين أو من الوافدين أو من وسائل الإعلام ومشاهدة المسلسلات والأفلام.. الخ وراء تغير فكر أبناء الواحة، بالإضافة إلى ارتفاع نسبة التعليم للجنسين مقارنة بالزمن الماضي.

وبالنسبة لوقت الفراغ تجد الجيران من النساء يتجمعن عند إحدهن يتسامرون الحديث ويتناولن الفول السوداني والبلح ويشربون الشاي وتشكو كل واحدة همومها للأخرى. وتجد الأطفال يلعبون مع بعضهم أمام المنازل وإذا احتاجت إحدى النساء أن تشتري أي طلبات من المحلات ترسل ابن جارتها لكي يشتري لها متطلبات من المحلات التجارية المجاورة لهم وإذا ذهبت إحدى النساء إلى السوق في "الباويطي" تسأل جارتها إذا كانت تريد أن تشتري لها بعض لوازم المنزل.

وهكذا بالنسبة للرجال من القرى البعيدة إذا ذهبوا إلى السوق في "الباويطي" يسأل جاره إذا كان يرغب في شراء أي شئ من السوق على سبيل المثال قد يشتري الفلاح لجاره "الطرية" – الفأس – أو "المحشة" أو بعض البذور اللازمة للزراعة أو بعض أشجار الفاكهة ... الخ. أي أن يوم السوق في "الباويطي" يأتي إليه الناس من جميع أنحاء الواحة لشراء متطلباتهم وقبل النزول إلى السوق يسألون جيرانهم ربما يكونوا في حاجة إلى بعض الطلبات ولم يوجد لديهم من ينزل إلى السوق لشرائها وبالتالي فالجار هو الذي يقوم بشراء متطلبات جاره.

وكذلك في حالات المرض كثيرا ما يذهب الجار مع جاره المريض إلى الطبيب أو إلى مستشفى الواحات المركزي وربما ما يعطل أعماله ليكون مع جاره في محنته وربما يقدم له الأموال لمساعدته أو قد يشتري له الدواء من الصيدلية أو يدفع لهم أجرة السيارة أي لابد أن يتعاون معه في محنته وكذلك في الأفراح وكله "سلف ودين" على رأي المثل "كله سلف ودين حتى المشى على الرجلين". أي لا بد من تبادل صور التعاون بين الجيران حتى تستمر وتدوم العشرة بين الناس ولا يكون التعاون من طرف دون الآخر.

- ويضيف الإخباري (٣): (زمان كان صور التعاون) أكثر من الوقت الحالي وكانت تظهر صور التعاون في حالات "الرعى" فقد كانت الواحات البحرية تضم مساحات كبيرة من المراعي وكانت مناطق الرعي معروفة للجميع وكانت الواحة مقسومة إلى جزئين وكل جزء له منطقة مراعى خاصة به، وكان هذا التقسيم طبيعي دون تدخل من أحد حيث كانت مناطق الرعى الخاصة بمجموعة من القرى هي الأقرب لتجمعاتها السكنية دون الأخرى. وكانت الأهالي تأخذ حيواناتها إلى هذه المراعي البعيدة عن التجمعات السكنية، ثم تتركها وحدها دون أن تترك معها أي إنسان يرعاها وكانت الحيوانات كلها تُترك في المراعي بعد أن تقوم كل عائلة بحفر حفرة في الأرض تسمى "الحِساء" وكانت "الحسيان" تمتلئ بالماء من طفح الأرض "نَشْع الأرض" لأن المياه كانت قريبة من سطح الأرض، وكانت "الحسيان" تسمى بأسماء العائلات، وكانت العائلات ترسل مندوبا منها كل ١٥ يوم مثلا ليتفقد أحوال الماشية كلها وكان يعود إلى القرية ومعه أخبار الحيوانات ويبلغ كل عائلة عما أصاب ماشيتها سواء كانت ولادة جديدة أو وفاة لإحداها. كما كانت من أجمل صور التعاون بين الجيران عند بناء مسكن جديد لأحد الجيران الجدد تجد الجميع من الجيران يساعده في عملية البناء منهم من يقوم بالبناء ومن يساعد في تقديم "المونة" – الطمي اللين – ومنهم من يجهز المونة وهكذا.... وبعد الانتهاء من بناء المسكن يقوم صاحبه بعمل الخاتمة بقراءة القرآن ويعزم الجيران على العشاء وكذلك الأهل وكان الجيران فوق مساعدتهم له في البناء يقدمون له المساعدات من الشاء والسكر وبعض الوجبات ... الخ. ومن صور التعاون بين الجيران زمان هو المساهمة في حفر "الآبار" فكان الجار في الحقل عندما يجد جاره يقوم بحفر بئر في أرضه يقوم فورا لمساعدته وإذا كان غير قادر ومريض مثلا يؤجر له رجلا بدلا منه أو يرسل له أبناءه الذكور الكبار لمساعدته أثناء عملية الحفر اليدوي. ولكن تغيرت الأحوال الآن وأصبحت عملية الحفر تتم "آليا" ويقوم بها الجرار الزراعي" وقد انتشرت الجرارات الزراعية الآن وخاصة عند الوافدين الذين يزرعون في أرض "القصعات" وعادة أصبحت المساعدات في مثل هذه الحالات بالآلات الزراعية.

أما بالنسبة للعلاقات بين النساء فتتضح صور التعاون بين الجيران في معظم المناسبات والأعياد الشعبية فنجد صور للتعاون في حالات الزواج أو الولادة أو الطهور أو السبوع وحالات الوفاة والأعياد الدينية مثل العيد الصغير والعيد الكبير والأكثر من ذلك هناك صور للتعاون خلال الأيام العادية وعلى سبيل المثال تظهر عملية التعاون من خلال عملية التبادل لبعض الأشياء المنزلية مثل "السكين – المخرطة – الغسالة ... الخ. أو الاستفسار عن نوع أكلات غير معروفة لدى البعض منهن أي "تبادل الخبرة".

كما قد تظهر صور التعاون في حالة الاستعانة بابن الجيران في قضاء بعض الطلبات أو شراء بعض الأشياء لجارته التي ليس عندها ولد أو غير موجود أمامها لحظة حاجتها إلى شراء بعض الأشياء من أحد المحلات أو الذهاب إلى أمه لقضاء بعض الأشياء "سلف" لجارته مثل استدانة بعض الأموال لحين حضور زوجها... وهكذا وفي حالات المرض قد تجلس الجارة مع جارتها المريضة أوقاتا طويلة تخدمها وقد يترتب على ذلك إهمالها لبيتها.

وقديما وقبل ظهور ماكينات الطحين كانت الواحة تقوم بطحن القمح على الرحاية ودق الأرز بالمدقة لفصل القشر عنه، وهذه العملية كانت تحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة وكانت من الأعمال التي تخص النساء – أي من الأعمال المنزلية – وكانت في حالة الزواج بفترة طويلة تجتمع النساء الجيران ويقمن بهذه العملية والتي كانت تستغرق وقتا طويلا وهذه أيضًا من صور التعاون بين النساء، و كانت النساء في فترات الراحة ووقت الفراغ تتجمع عند إحدى الجارات لتناول الشاي والقهوة والحديث عن الأولاد وتربيتهم أو عن حال الأزواج معهن وتحكي كل جارة للأخرى عن أحوالها وظروفها الاقتصادية ويتبادلن الحديث عن لوازم الفرح ومتطلبات الفرح وكيفية الإعداد له من طلبات إذا كان عند إحداهن حالة زواج لأحد الأبناء.

أما الرجال فكان الجميع في فترات الراحة في المزارع يتجمعون بعد صلاة العصر ويتناولون "التعصيرة" كل واحد مع جارة القريب له في الحقل ويتناولون الشاي أو القهوة وبالنسبة لكبار السن يتجمعون في منطقة "السور" أي أرض فضاء وسط المساكن - الكتلة السكنية – يتبادلون الحديث أو يلعبون بعض الألعاب مثل "السيجة" أو يتزاورن مع بعضهم البعض في بيوتهم أو يزووا شخصا مريضا مثلاً.

ولكن تغيرت الأوضاع الآن وأصبحت توجد المقاهي التي يجلسون عليها وخاصة في "الباويطي" والشباب يلعبون الكرة في مراكز الشباب التي أنشأتها الدولة حديثا وكذلك الصغار من الأولاد. أما الأطفال فيلعبون بعض الألعاب المسلية مثل "لعبة الفارة" أي "الفأر" أو "الغميضة" أو لعبة المشاكيح ... الخ وكل لعبة من الألعاب لها الجيل الذي يمارسها سواء من الذكور أو الإناث.

وحديثا ظهر نوع آخر من أشكال التعاون وهو تقديم الخدمات أو المساعدات وعلى سبيل المثال قد يساعد أحد الوافدين – الذي ربما يكون له موقع متميز في بلاده أو يعرف شخصية مرموقة – أحد أبناء الواحة في إيجاد فرصة للعمل أو تسهيل له فرصة للعمل أو للسفر للخارج ... الخ والعكس. إذا احتاج أحد الوافدين وخاصة في المناطق البعيدة مثل "القصعات" أن تصل الكهرباء إليه فنجد أن أبناء الواحة قد يساعدون في تلبية طلبه وهكذا.

كما قد يتعاون أبناء الواحة مع أحد الوافدين من خلال شراء بعض الحيوانات وعلى سبيل المثال ظهرت بالواحة حاليا البعض القليل من "حيوانات الجاموس" وقد جاءت إلى الواحة بمعرفة المتخصصين من الفلاحين من وادي النيل ويقول عنها أبناء الواحة أنها أثبتت جودتها في التربية والإنتاج والتكاثر فضلا عن وجود الأبقار بكثرة.

كما قد عرفت الواحة أنواعا أخرى من الأعلاف مثل الكُسب والرَدّة بعد أن كانت تعيش الحيوانات على علف "الدَخن" وهو يشبه علف الفيل أو الذرة العويجة والشامية. وكلها جاءت عن طريق الوافدين المقيمين بالواحة وتم انتشارها في الواحة بعد أن كانت الواحة ترفض تربية الجاموس وذلك بغرض أنها لا تستطيع العيش في جو الواحة عكس الأبقار التي تتحمل طبيعة الجو بالواحات البحرية وهناك العديد من صور التعاون الأخرى في كل مكان بين الجيران وبعضهم سواء كان ذلك في العمل أو الزراعة أو الجوار في المكان... الخ.

صور الصراع داخل الجيرة:

يعتبر الصراع من أهم ما يميز الكائنات الحية وخاصة البشرية فنحن نعيش على أرض يمشى عليها البشر ويعمرونها ولسنا مجتمع ملائكي تختفي فيه صور المنافسة والصراع. فالمجتمع البشري بصفة عامة لا يخلو من صور التعاون والمنافسة والصراع مهما كان ولكن هذه الأشكال تختلف من مجتمع إلى آخر وبقدر ما يسود المجتمع من إحدى الصور يمكننا أن نصف ذلك المجتمع – أي إذا ساد التعاون بين الناس داخل مجتمع من المجتمعات نطلق عليه مجتمع متعاون والعكس.

ومن صور الخلافات أو المشكلات التي ظهرت مع وجود الوافدين وتمركزهم بالواحة يقول الإخباري ([٤] (٦٢ سنة، أمى، م +٦)، منديشة: قد طرأ على الواحة بعض الإقطاعيين من الوافدين – الأثرياء – من بلاد وادي النيل واستولوا على أغلبية المناطق وخاصة أراضي الاستصلاح الجديدة "القصعات" و "الحيز" وبعض أن استولوا على هذه الأرض بمساحات كبيرة قاموا بتأجيرها لزراع البطيخ القادمون من "ادكو والبرلس" والمناطق الزراعية الذين دأبوا على زراعة البطيخ خاصة الصالح للتصدير أي من الأنواع الراقية مثل "الشليون بلك" وقاموا باستغلال هذه المناطق التي بها الدائم المستديم وأقاموا عليها مزارعهم وحرمت الماشية من هذه المراعى وبالتالي انقرض الرعى في بداية التسعينات (٩٢-١٩٩٣)

وأصبح كل مزارع يقوم بتربية ماشيته في مزرعته أو "داره" فبعد أن كانت الحيوانات ترعى في خير الله على رأى المثل "خير الله في ملئ الله"، أي أن الحيوانات وهي خير من عند الله كانت ترعى في أرض الله الواسعة على الحشائش التي كانت تنبت في هذه المناطق على "رشح الماء" وكانت هذه المناطق بها خضرة وحشائش مستديمة وكانت أهم مناطق الرعي بالواحات البحرية هي منطقتي "القحيف والعسيلة" وكانت هذه الحيوانات تشرب من بعض الحفر بالأرض تعرف "بالحسيان" وكل منطقة كان يوجد بها عدد من "الحسى" ومعروفة بأسماء العائلات أو الأشخاص الذين حفروها – وربما يكون السبب في وجود المياه في هذه المناطق لوجودها في منخفض أقل من مستوى سطح البحر.

وبالطبع قد ترتب على شراء الوافدين لهذه المراعى هو عدم القدرة لأبناء الواحة على الرعي إلا في مزارعهم الخاصة بهم أو في بيوتهم وشراء الأعلاف الغالية الثمن بعد أن كانت المراعى من عند الله – ببلاش – وقد أدى ذلك أيضًا إلى قلة الحيوانات بالواحة مما ترتب عليه ارتفاع في سعر اللحوم. كما قد أدى الاستيلاء على هذه المساحات وزراعتها بالبطيخ وخاصة في منطقة "الحيز" إلى وجود "الهجرة الموسمية" والتي تأتي من "البرلس وأدكوا" لتقيم في منطقة "الحيز" وتقوم بزراعة الأرض بطيخ وتستمر طوال فترة الإقامة طالما الأرض لم تنتهي من البطيخ أي من بداية زراعة البطيخ إلى نهاية الموسم بعد الانتهاء من تصدير هذا المنتج وبالطبع تأتي أسر الزراع وتقيم بعد "العشش" بجوار زراعتهم حتى نهاية الموسم وقد تحدث بعض الخلافات أو المشاكل بين الأطفال الصغار وأبناء الواحة المجاورين لهم ولكن لا تصل إلى التشاجر بالأيدي ولكن تزول بالعتاب من الأهالي.

وأيضًا من المشاكل التي ظهرت بالواحة حديثا "هو تهريب الحيوانات" حيث أن الثروة الحيوانية بالواحة تكفي الواحة وأكثر ولكن قرار وزير التموين منع خروج الحيوانات من الواحة حفاظا على الاكتفاء الذاتي وبالتالي كانت اللحوم رخيصة الثمن فقد كان كيلو اللحوم البقري في بداية الثمانينات لا يتعدى الجنيه الواحد وصل في نهاية التسعينات إلى عشر جنيهات حاليا الكيلو وصل (١٢جنيه) وحاليًا تجاوز (٦٠ جنيه). والسبب وراء ارتفاع هذا السعر هو وجود بعض الجزارين والتجار الاستغلاليين يقومون بتهريب الماشية الصغيرة المرتفعة الأسعار والمطلوبة للاستهلاك الراقي بوادي النيل ويقوم التاجر بتهريب هذه الماشية بواسطة سيارات خاصة مجهزة – لم نكن نسمع عنها من قبل – لها آلات جر شديدة وتسير في الأراضي والمناطق الرملية والدروب الوعرة ولا يمكن مطارتها بسيارات الشرطة أو غيرها، ومن يضبط يحاكم أمام القانون بعقوبة لتهريب وذلك تبعا لقرار السيد وزير التموين وذلك حفاظا على الاكتفاء الذاتي بالواحة وزيادة الثروة الحيوانية وطبعا هذه العملية واستمرار عمليات التهريب للماشية سوف يؤدي إلى انخفاضها بالواحة وارتفاع أسعارها بأضعاف ما كانت عليه؛ والسبب وراء ذلك هي الجماعات

الوافدة التي استولت على أراضى المراعى وربما وراء عملية تهريب الحيوانات من الواحة إلى وادى النيل هم أبناء وادي النيل الذين يشتروها من الواحة بأسعار بسيطة ويبيعونها بأسعار غالية في بلادهم وبالطبع هذا لا يحدث إلا من خلال أبناء الواحة الذين يساعدوهم على ذلك.

وعن سبب الصراعات بين الوافدين والأصليين: يقول الإخباري [٥]، ٥٥ سنة، أمى، م +٨، قصعه ٤): أنا من مواليد الفيوم وعايش هنا أكثر من ٣٠ سنة واشتريت الأرض واستقربت هنا وعندي ١٥ فدان.. يعني بعت أملاكي في الفيوم وجيت اشتريت أرض هنا "بالميه – بالمياه – علشان ممكن الواحد يشتري أرض بدون مياه أو يشتري الأرض "بالمياه" وأنا أشتريت الأرض والميه يعني "يملك بمياه" علشان مش حقدر أحفر بير وحدي حوالي ٥٠٠ متر لأنه مكلف لكن أرض التعمير دائما بيكون فيها بير تبع التعمير وكل بير بيكون له مساحة من الأرض للري وفي يوم جم ناس من الواحة وعايزين ياخدوا ميه من البير بالقوة وجم الناس في أربعة عربات محملين رجالة من الواحة وصارت خناقة كبيرة وقلنا "الشبر فيها براجل" يعني مش ممكن نستغنى عن الأرض أو الميه لأنهم عايزين يأخذوا الميه بدون وجه حق علشان همه مش شاريين أرض من التعمير بالميه، لكن واضعين أيديهم على أرض بجوار أرضنا وعايزين يأخذوا الميه وطبعا المياه مش راح تكفي زراعتنا وقامت النسوان عليهم بالدبش" وتحديف الظلط – أي الضرب بالحجارة -، لكن الكثرة تغلب الشجاعة حرقوا ديارنا لكن محدش أخد نقطة ميه من البير.

وكمان أصحاب البلد واكلين خيرها وهمه بيعاملونا بغيظ معاملة الأقراد علشان أحنا منفيين وبعاد عن المدينة وهمه بيقولوا علينا إننا راح نحتل البلد وكل الوظائف الحكومية لأبناء الواحة رغم أن فيه شباب من الوافدين غيرّ محل الإقامة وأصبحت الواحة البحرية لكن أي مصلحة حكومية حتى قسم الشرطة بيفضل إبن الواحة عن الغريب وعموما زمان كانت الخلافات كثيرة والخناقة دي كانت من زمان لكن حاليا أصبحنا أحسن بكثير في العلاقات واحنا بنحب الأستاذ/ محمد عمر عبدالناصر علشان والده الله يرحمه كان عضو المجلس المحلي للواحات وهو من أبناء الواحات وهو اللي كان بيساعدنا في كل شئ واحنا بنروح نشتكي له همومنا ومشاكلنا يعني البشر مش ذي بعضه فيه الحلو وفيه الفاسد، واحنا لازم نستحمل علشان احنا بعنا كل ما نملك في بلادنا وجينا هنا علشان نعيش كويس ولأولادنا الصغار دخلوا المدارس وفيه ناس اتجوزت بناتنا وملناش مكان تاني غير هنا وعموما الأوضاع بتتحسن علشان دخلت الكهرباء بيوتنا – والحكومة عملت طريق مرصوف للواحات والحمد لله أحسن من زمان بكتير والطريق سّهل الحركة والانتقال من الواحة وإليها.

وعن صور الصراع داخل الواحة بين الأصليين والوافدين: يقول الإخباري ([٦] ٥٧ سنة، عالى، م+٥ ، المناجم): بالنسبة لمناجم الحديد أو مستعمرة المناجم السكنية التي تضم بعض أبناء الواحة والكثير من الوافدين توجد بعض المشكلات ولكنها محدودة بالمقارنة بأي مكان آخر. وعموما بالنسبة لأبناء الواحة الأصليين تجد عندهم بعض الغيرة من الوافدين وربما يكون ذلك راجعا إلى عدد أبناء الواحة لا يمثل قوة العمالة داخل المنجم والباقي هم من الوافدين فتجد أن البعض من أبناء الواحة يتمنى أن تكون قوة العمالة كلها من أبناء الواحة وآخر يقول أن الوافدين بينهبوا أموالنا لأن خام الحديد في أرضهم والمفروض أن الاستفادة الكبرى تكون لأبناء الواحة وليس للوافدين.

بالإضافة إلى أن غالبية العمالة من أبناء الواحة هم يستخدمون في الأعمال المعاونة مثل الحراسة والنظافة .. الخ وذلك نظرا لإهمال التعليم بالواحة سنوات طويلة قبل ذلك. ولكن مهما كان في صدور أبناء الواحة من الوافدين وأمنيتهم بأن يكون أبناء الواحة هم قوة العمل إلا أنها رغبة مكبوتة لأن للمناجم قانونا يحكمها، فلا تصل المشاكل إلى نشوب خلافات واضحة ولكنها أمنية عند أبناء الواحة في أن يعمل أولادهم في هذا المنجم الذي كان فاتحة الخير على الواحة كلها.

أما بالنسبة "للمدينة السكنية" وهي عبارة عن عمائر متعددة الطوابق تجمع فيها أبناء الواحة وكذا العمالة الوافدة يعيشون جميعا داخل هذه الوحدات السكنية والتي تنقسم إلى ثلاثة مستويات مستوى ممتاز وهو خاص بالمؤهلات العليا ومستوى متوسط وهو خاص بالمؤهلات المتوسطة وكذا المستوى الثالث وهو خاص بالعمالة الأمية والخدمية، وبالطبع هذه المدينة السكنية – مستعمرة المناجم – توجد بها بعض الخلافات بين الجيران وخاصة النساء فهي – المدينة السكنية – مثل باقي المدن في محافظات الجمهورية أو على الأقل تشبه المدن الجديدة التي تضم العديد من أنماط ثقافية مختلفة أتت من محافظات الجمهورية المختلفة.

فقد تحدث الخلافات بين النساء بسبب "نشر الغسيل" أي قد تتشاجر النساء بسبب غسيل الملابس وعلى سبيل المثال في فصل الشتاء مثلا إذا نشرت أمرأة غسيلها وأوشكت على الجفاف أو أصبح "ناشف" وقامت جارتها التي تعلوها في المسكن بوضع غسيلها الذي قد تتساقط منه الماء فوق غسيل جارتها ومن هنا تدب الخلافات والمشاكل بين الجيران.

أيضًا من أسباب المشاكل داخل مستعمرة والمناجم خلافات النظافة مثلا نظافة السلم أو نظافة العمارة أو أمام الشقة قد تنشب الخلافات بين الجيران بسبب عدم نظافة السلم أو مدخل العمارة أو أحد الأبناء قد ألقى بعض القمامة أمام شقة جاره أو في مدخل العمارة. وهذه المشاكل تخص في كثير من الأحيان المدينة السكنية بالمناجم وليس كل الواحة.

كما قد تدب الخلافات بين الجيران بسبب مشاكل الأطفال في اللعب أو في المدرسة وبالطبع مشاكل الأطفال لابد أن تصل إلى الأهل ولكنها إلى حد كبير لا تصل إلى أكثر من الصوت العالي أثناء العتاب وفي النهاية لابد من التصالح بين الطرفين ولكن بعد تدخل بعض الجيران أصحاب الكلمة أو كبار السن ... الخ ولكنه حتى الآن لم تصل الخلافات أنها خرجت من داخل المدينة السكنية أو ذهبت إلى أقسام البوليس- الشرطة.

ومن أهم الخلافات بين الجيران خاصة النساء هي "الغيرة" فقد تغار إحدى الزوجات من جارتها التي تراها ترتدي الملابس الراقية أو تشتري قطعة ذهب ثمينة أو أولادها يرتدون ملابس غالية، فقد يؤدي إرتفاع المستوى الاجتماعي الاقتصادي إلى تطلع الزوجات إلى ما عند جيرانهن مما قد يؤدي ذلك إلى وجود نوع من الصراع الداخلي بين الجيران الأقل مستوى وبالطبع قد يظهر هذا الصراع الداخلي بين النساء إلى صراع خارجي يظهر في صورة مشاكل مع الجيران إما عن طريق نقل الأسرار وإفشائها بين الجيران أو التوقيع بينها وبين الجيران المحيطين بها وذلك التعبير عن مدى الصراع الداخلي بين الجيران وبعضهم والغيرة بين النساء لأن النساء ناقصات عقل ودين، ولا تعملن بالمثل القائل: إن كان جارك في خيرا افرح له – ان ما جاك منه كفاك شره". لكن النساء مسألة الغيرة عندهن من المسائل التي تشغل عقلهن ودائما تجد الكثير منهن تنظر وتتطلع إلى ما هو حولها أي المرأة تنظر إلى ما عند جارتها حتى ولو كانت أختها وفيه ناس بتضايق لما تشوف جارتها في خير أو بتشتري دهب لنفسها أو بتشتري جهاز لبناتها وتشتري أي شئ من هذه الأدوات بسعر عالي فالمسائل المادية غالبا تشغل بال النساء.

أيضا عن صور الصراع: يقول الإخباري ([٧]، ٨٥ سنة، أمي، م +٨، الباويطي): إن طبيعة الارض الصحراوية تختلف عن الأراضي الطينية تحدد حدودها بوضع قطع من أعمدة حديدية عند الحدود الأربع وهذا يختلف بالنسبة للأرض الصحراوية التي تحدد حدودها غالبا بجزوع الأشجار أو جريد النخيل ... وهناك تكون الخلافات على حدود الأرض لأن أرض الواحات القديمة الموروثة من الآباء، والأجداد محددة بعلامات ثابتة مثل "البير" أو تبه عالية أو شارع أو طريق زراعي أو بسور من الجريد. لكن الأرض الجديدة – الأرض المستصلحة – بتكون من غير حدود وكل واحد بيكون عايز يأخذ حتة أكبر من التاني وكذلك بالنسبة للسور المصنوع من الجريد ممكن الرياح تقتلعه ويحدث مشاكل على الحدود. حاليا ومع انتشار الزراعات الوافدة مثل الطماطم – البطيخ – الخيار – البسلة ... الخ قد تكون الحيوانات سببا للمشكلات بين الجيران في الحقل فقد تجرى إحدى الحيوانات وتنزل زراعة الجار و تتلف منه الكثير مما قد تكون هذه الواقعة سببا في الخلافات بين الجيران لأن الزرع يتكلف مصاريف كثيرة وقد يؤدي إهمال الجار وعدم الحفاظ على جاره إلى حدوث بعض المشكلات.

أيضًا قد تكون المشكلات بين الأطفال سببا في الخلافات بين الجيران فقد يتشاجر الأطفال في الطريق أو في الزراعة - الحطايا – أو في المدرسة ... الخ لأي سبب من الأسباب وقد يؤدي إلى الخلاف إلى تدخل الأسرتان ولكن طبيعة أهل الواحة هي الطيبة والتسامح وبالتالي فلا يوجد تصعيد لمثل هذه الخلافات البسيطة التي سرعان ما يتدخل جيران الخير لحل هذه الخلافات البسطة.

وعن الخلافات بين أبناء المجتمع الأصلي والوافدين: يقول الإخباري ([٨] ٦٠ سنة، أمى، م+٥، الزبو): لقد ظهرت مشاكل لم نكن نعرفها من قبل مثل الإجرام والسرقة وتهريب المواشي بمعاونة أبناء الواحة وتسهيل عملية التهريب. أما الإجرام فظهر عندام يمشي أحد أبناء الواحة على حدود الجار في الارض ولأول مرة نسمع كلمة "لو مشيت من هنا حقطع رجلك" فقديما وقبل وجود الوافدين كان الجار يمشي من أرض جاره ولا يحدث في الأمر شئ ولكن الآن إذا مشى الجار فوق حدود أرضه – أو كان راكبا فوق حماره وأخذت الدابة أي نبات من الزرع وأكلته أثناء المشي من هنا تحدث المشاكل التي لم نكن نسمع عنها وغنالبا يحدث هذا النوع من المشاكل مع الفيومية.

وترى الباحثة أن طابع أبناء الفيوم يغلب عليها النمط الصعيدي والذي ربما يعتبر أن مشي الغريب على حدود أملاكه من الأرض أو اقتلاع الدابة التي يركبها وإتلافها لبعض النباتات المزروعة هو نوع من الاستهتار بالغريب وقد يكون التحذير بقوله "لو مشيت من هنا حقطع رجلك" هو لإبلاغ ابن الواحة بأنه ليس ضعيفا وقادرا على حماية أملاكه أو يشعره بأنه قوي حتى لا تتكرر مثل هذه الواقعة وأنه إن لم يكن قادرا على حماية أرضه فليرجع إلى موطنه الأصلي في حين أن أبناء الواحة يرون أن هذا المشي على حدود الجار أمرًا عاديًا اعتادوا من قبل وأنهم يرون ضرورة الحفاظ على الجار ويتضح ذلك من خلال "الرعي" حيث كان الجار يباشر حيوانات جاره ويبلغه بما حدث لها في مناطق الرعي التي انقرضت.

أيضًا من السلوكيات الغريبة على الواحة والتي ظهرت حديثا هي "السرقة" حيث كانت هذه الواقعة في قرية "الزبو" عندما استأجر الحاج /(أ-ع)– رجل من أبناء الوافدين – الفيوم للعمل معه بالأجر في أرضه وعندما طلب منه الوافد أن يعطيه باقي مستحقاته المالية نظير فلاحة الأرض حتى يعود إلى بلده لأي سبب من الأسباب وأراد الحاج/ (أ-ع)– أن يحتفظ به لفلاحة أرضه وأن يبقى له جزءا من أجره حتى يضمن أن يعود مرة ثانية للواحة ويعمل عنده لم يصبر الفلاح الأجير وانتهز الفرصة ليلا وسرق "الخزينة" التي يضع بها أمواله وأخذها إلى الجبل وكسرها وأخذ ما بها وهرب إلى بلاده.

وترى الباحثة أن ظهور عملية السرقة في حد ذاتها غريبة على المجتمع الواحاتي وربما عدم وجود هذه الجريمة من قبل كان يرجع إلى أن الجميع من أبناء الواحة يعرفون بعضهم البعض ويحافظون على بعضهم نظرا لقلتهم العددية ولكن

بدخول الجماعات الوافدة من محافظات أخرى واندماج هذه الجماعات مع الجماعة الأصلية كل ذلك أدى إلى وجود حراك داخل الواحة نتج عنه أن "ذاب هذا في ذاك" أو تاهت معالم الواحة التقليدية وليس هناك ما يمنع أن نجد أنواعا جديدة من الجرائم مثل السرقة وفي نفس الوقت قد يُبرر السارق لنفسه هذه الجريمة بحجة ألا يقال عليه "أن فلان ضحك عليه وأخذ حقه" ومن هنا قام بهذه الفعلة.

كما قد يبدو للوهلة الولى أن هناك انسجام تام بين الجماعات الوافدة والأصليين ولكن من خلال المعايشة والعلاقات العميقة بين الباحثة وأعضاء المجتمع قد تبين أن هناك صراعات دفينة في الصدور وخاصة بين الوافدين وقد تظهر هذه الصراعات أثناء الحديث. فعلى سبيل المثال إساءة التعامل لهم في الجهات المسئولة وتفضيل أبناء المجتمع الأصلي عليهم .. وعدم إتاحة الفرصة لهم للأعمال الحكومية رغم أن البعض منهم قد قام بتغيير محل الإقامة وأصبح موطنه الأصلي الواحات البحرية إلا أنهم ما زالوا يعانون من مشكله عدم وجود فرص في المصالح الحكومية. وكذلك في أقسام الشرطة هناك تمييز واضح وتفضيل للأصليين على الوافدين ... الخ ولكنه على حد قولهم – يقولون لابد أن نتحمل لأننا تركنا بلادنا وجئنا لكي نعيش هنا ولابد أن نتحمل أي مشاق ... لأنهم يروا أنهم قد استولوا على أرض الواحة وخيرها وذلك من وجهة نظر أبناء الواحة ... حيث انهم مهره في الزراعة والتجارة، فهناك صراع دفين حول المصالح المشتركة ولكن لم يصل إلى العنف المدمر ولكنه كاي مجتمع بشري يوجد فيه جميع صور التعاون والمشاركة والصراع والتنافس ... الخ.

استخلاصات:

انطلاقًا من مقولة (محمد الجوهري) [٦٣] : "إننا لا يمكننا - برغم كل شيء - أن ننعت التراث بالثبات أم الجمود، فقد رأينا بوضوح ساطع كيف يقبل الاستجابة للتغيرات الناجمة عن الاتصال بالآخرين، وعن منجزات الثورة المعاصرة في الاتصالات، وهي وغيرها مثيرات ومحفزات لتغيرات مهمة في شروط الواقع الاقتصادية والاجتماعية، أدت وتؤدي في غير قليل من الحالات إلى هز هذا الثبات النسبي للتراث، وتجعله يفقد توازنه أحيانا.

وهكذا فإنه حين تلتقى الجماعات العرقية المتباينة ثقافيا، فإنها لا تيسير على وتيرة واحدة نحو التكيف أو التمثيل الثقافي، أي أن هذه العملية – التمثيل الثقافي – تحدث بين الجماعات بعد دورة محددة من العلاقات، تبدأ بالاتصال وتنتهي بالتمثيل الثقافي "وأنه ليس هناك جماعتان عرقيتان مختلفتان يكون لهما من العلاقات الاجتماعية التي تسير على نفس السياق مع جماعتين أخريتين.

وان هناك مراحل متباينة من العلاقات تتوقف إلى حد كبير على حجم الجماعة الوافدة ووضعها في النسق الاجتماعي، بمعنى أن تحديد طبيعة العلاقات وتطورها، أنما يتوقف على القوة النسبية فالاحتكاك الثقافي، لا يتدعم باستمرار

تواجد الجماعات العرقية معها، في جميع الحالات بطريقة عشوائية في دورة محددة، فبعض الجماعات يتناقص اتصالها الفعلي وتصبح أقل كفاءة مع الاستمرار وقد لا يتحقق أي نوع من التكيف أو التمثيل الثقافي بدافع عدم الاطمئنان أو الخوف أو التوتر الذي يدفع إحدى الجماعات إلى الابتعاد أو العزلة ومن ثم يصبح التفاعل بين الجماعات محدودا للغاية وليس له فاعلية في تحقيق الحد الأدنى من التكيف.

وإلى حد كبير يمكن القول بأن هناك نوعا من التكيف بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية إذا ما اعتبرنا التمثيل نوعا من المشابهة العقلية والمطابقة في أنماط السلوك والآراء والمشاعر والمعتقدات حيث تكتسب الجماعة خبرات وتجارب الجماعة الأخرى كما أننا لا نستطيع أن نجزم بأن الثقافة الأصلية لأبناء الواحة قد هيمنت بشكل كلي على الثقافات الوافدة. أي لم تكن هي الثقافة المانحة فقط والثقافة الوافدة مستقبلة فقط بل أوضحت الدراسة أن كلا الثقافتين تأثرت وأثرت في الأخرى وأن اختلفت درجات التأثير من واحدة لأخرى.

والجدير بالذكر أن العزلة الاجتماعية أو التكيف أو التمثيل الثقافي، كل ذلك مرجعه إلى بناء العلاقات الاجتماعية المتمايزة التي توجد بين الجماعات، إذ أن من الأفراد يقومون بأدوار خاصة تؤدي بهم إلى علاقات اجتماعية محددة مع أعضاء الجماعة الأخرى، وبذلك يكون وضع الجماعة ومركزها هو الذي يحدد طبيعة العلاقات، وبالتالي ردود الفعل بالنسبة للآخرين.

- كما أن هناك عوامل أخرى قد تؤدي إلى عملية التمثيل الثقافي كالتشابه بين الثقافات والمشاركة في الاقتصاد المحلي مما يساعد على إقامة علاقات وثيقة تتمثل في الصداقات وحسن الجوار والزواج التبادلي مما قد يؤدي إلى ضعف الحدود والفواصل بين الجماعات، وهذا ما لاحظته الباحثة في مجتمع البحث حيث أن هناك من الجماعات الوافدة خاصة من أبناء الفيوم ما يرجع في الأصل إلى الواحات البحرية، ونظرا لأن سكان الواحة جميعهم من خارجها وخاصة من أبناء الصعيد الذين وفدوا عليها منذ قديم الزمن فإنه إلى حد كبير تتشابه هذه الجماعات ثقافيا كما أن المشاركة الاقتصادية بين هؤلاء الجماعات الأصلية والوافدة قد أدت إلى التقارب الوجداني والذي ترتب عليه اندماج هذه الجماعات مع بعضها البعض إلى حد كبير الأمر الذي ترتب عليه وجود زيجات بين هذه الجماعات وإن اختلفت النسبة بينها حيث ترتفع نسبة زواج الوافدين من بنات الواحة وذلك لأسباب جاءت في متن الدراسة آخذين في الاعتبار أن هناك تغير ملحوظا قد حدث في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية حيث كانت في بداية الأمر ينتابها نوعا من القلق والحيطة والحذر وذلك في بداية تواجد الجماعات الوافدة بالواحة، ولكنها إلى حد كبير قد زالت هذه الشكوك والحيطة وتحولت بين الكثير منهم إلى ثقة متبادلة تظهر من خلال صور التعاون في المناسبات ووجود بعض المجاملات بين الطرفين، ورغم ذلك فلن نستطيع أن نجزم بأنه لا يوجد صراعات بينهم ولكن هذه الصراعات تظهر إذا ما تعارضت المصالح.

- كما أن هناك تغيرا ملحوظا قد طرأ على عملية الزواج وذلك بعد حدوث عملية الاتصال الثقافي، حيث اختلفت المناشط الثقافية مما ترتب عليها التفكير المادي والذي أصبح يلعب دورا أساسيا ومؤثرا في حياة الناس وتراجعت القيم التقليدية التي تحث على التكافل كما تراجع دور الأسرة (الأبوين) في عملية الاختيار الزواجي نتيجة الاستقلال المادي، مما ترتب عليه تغيير بعض الطقوس المرتبطة بعملية الزواج.
- وقد أدى الاحتكاك الثقافي بالجماعات الوافدة إلى تغير النمط التقليدي في حياة أبناء الواحة وخاصة نمط الزراعة، ومن المتوقع مستقبلا حدوث صراع في العلاقات بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة وذلك من خلال تزايد أعداد الوافدين من بلاد وادي النيل إلى هذا المجتمع وارتفاع الضغوط الاقتصادية وكذلك نسبة البطالة، فضلا على مشكلة المياه والصراع عليها حيث بدأت بعض الآبار تجف مياهها مما يتطلب وجود ماكينات لرفع المياه من الأعماق البعيدة ولذلك يجب العمل على تدخل الدولة ومتخذي القرار في وضع البرامج والخطط الاستراتيجية المستقبلية لحل هذه المشكلة مشكلة المياه حيث أن هذا المجتمع يقوم أساسا على الزراعة.
- كما أدى الاتصال الثقافي إلى زيادة وتنوع النشاط التجاري والحرف بالواحة حيث أدت سهولة الانتقال من وإلى الواحة إلى وجود بعض العمالة المهنية المدربة والتي أدت إلى نقل هذه المهارات الحرفية إلى البعض من أبناء الواحدة. كما انتعشت التجارة شكل ملحوظ وتنوعت ولم تعد قاصرة على منتجات الواحة فقط بل أصبح الكثير من التجار يجلبون متطلبات الواحة من بلاد وادي النيل كما ظهرت "السماسرة" بالواحة خاصة من الوافدين وتحديدا في موسم الحج وموسم البلح.
- كما أن الواحة إلى وقت قريب كانت في شبه عزلة عن العالم الخارجي ومنغلقة على نفسها مما أكسب لغة الواحة بعض السمات المميزة لها ولكن بعد الاتصال الثقافي بدأ هذه السمات المميز لهذه اللغة تتراجع وتحل محلها سمات لغوية أخرى فضلا على إحلال بعض الكلمات والعبارات الجديدة سواء كانت العربية أم الأجنبية كما جاءت في متن الدراسة خاصة عند جيل الشباب.
- قد نلحظ لأول وهلة أن هناك علاقات حميمة بين البعض من الجماعة الأصلية والبعض من الجماعات الوافدة ولكن من يغوص في أعماق المجتمع يرى أن هناك عكس ذلك وإن كان الواضح أنها علاقات طيبة وربما يكون السبب الأساسي الخفي وراء الصراع الغير واضح والذي لم يظهر إلا من خلال بعض العبارات مثل: نظرة أبناء الواحة إلى الوافدين بأنهم جاءوا ليستولوا على خيرات الواحة وأن هذه الخيرات هي رزق لهم ولأبنائهم من بعد، في حين يرى الوافدون

أنهم هم الذين كان لهم الفضل في تعليم الواحاتية أساليب الزراعة الحديثة، وهم السبب في تغيير فكرهم ونظرتهم نحو العالم الخارجي ومستحدثاته على سبيل المثال التغير من الزراعات التقليدية إلى الزراعات الحديثة معتمدين في ذلك على وسائل وأدوات الإنتاج المستخدمة.

- كما نتج عن الاتصال الثقافي بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة أنواعا جديدة من الجرائم مثل السرقة وتهريب الماشية، فلم تعرف الواحة هذه الأنماط من الجرائم إلا بعد معايشتهم مع الجماعات الوافدة جنبا إلى جنب، ولأول مرة تعرف الواحة السرقة كما جاء بالتفصيل في متن الدراسة، أما تهريب الماشية فنظرا لأن أسعارها في الواحة منخفضة ومحظور بيعها خارج الواحة طبقا لتعليمات المسئولين وقد أصبح الوافدون يقومون بتهريبها إلى بلاد وادي النيل وبيعها بأسعار عالية، الأمر الذي ربما يؤدي إلى تدهور الثروة الحيوانية بالواحة، فضلا على أن عملية التهريب أصبحت تتم بمساعدة بعض تجار الماشية من أبناء الواحة.
- كما أوضحت الدراسة الميدانية أن هناك تفاوتا ملحوظا في المعاملات خاصة مع الأجهزة التنفيذية، حيث يوجد تفضيل واضح بالنسبة للجماعة الأصلية تحديدا وعلى سبيل المثال: عدم إتاحة الفرصة أمام الوافدين في الوظائف الحكومية وكذلك التمييز في المعاملات أمام الجهات الرسمية وعلى الرغم من ذلك توجد بعض الصداقات والزيجات بين أبناء الواحدة الأصليين والبعض من الجماعات الوافدة.
- كما أدى تواجد الجماعات الوافدة بالواحات البحرية إلى وجود نمطا جديدا من الأسواق أو لونا آخر من التجارة، وهي "التجارة المنزلية" حيث تعتبر هذه التجارة المنزلية لونا جديدا لم تألفه الواحة من قبل حيث كانت التجارة المنزلية بالنسبة لأبناء الواحة عيبا شديدا ولكن ظهرت حتى بين الواحاتية وغالبا ما يقوم بهذه التجارة النساء، ومع ظهور هذا اللون الجديد من التجارة تغيرت النظرة نحو المجاملات والهدايا وحلت محلها التجارة المنزلية بالنقد، مما ترتب عليه- تقريبا- تدهور زمن التهادي حيث كان فيما مضى لابد أن يهادي الجار جاره من منتجاته وحاصلاته الزراعية ويتبادل الجيران التهادي ولكن هذه العملية في طريقها للزوال وأصبح كل بيت عنده فائض ولو بالقليل جدا يسعى لبيعه إلى جاره حتى ولو كان عود من شتلة الباذنجان أو الطماطم كما يقولون أي أن الوافدين قد زرعوا في عقول أبناء الواحة التجارة ولو في أقل الأشياء بغرض المكسب المادي.

الهوامش

(١) فاروق مصطفى إسماعيل، الجماعات العرفية، دراسة في التكيف والتمثيل الثقافي، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٥، ص٩٠.

(٢) حسن أحمد الخولي، علم الإنسان وقضايا المجتمع المعاصر، في: دراسات في علم الاجتماع مهداة إلى روح الدكتور/ مصطفى الخشاب، مركب البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، تحرير: أحمد زايد، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٧٦.

(٣) أحمد زايد، واعتماد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٧.

(٤) علي عبد الرازق جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندريةن١٩٨٩، ص١٠٧.

(٥) محمد الجوهري، الانثروبولوجيا ، أسس نظرية وتطبيقات عملية، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٣١ : ص٢٣٥.

(٦) أحمد أبو زيد، الإنسان والمجتمع والثقافة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ج٢، ١٩٩٦، ص٧٤٨.

(٧) شارلوت سيمور – سميث، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، المشروع القومي للترجمة، إشراف: محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٩٨، ص ص ٢٨٥ – ٢٨٦.

(٨) أحمد زايد ، واعتماد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص٢٦.

(9) Stephn Bochner, Cultures in Contact studies in cross, cultural interaction, pergamo press, itd. Oxford, 1982, p.10

(١٠) شارلوت سيمور – سميث، موسوعة علم الإنسان، سابق، ص١٠٧.

(١١) جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مراجعة وتقديم، محمد الجوهري، المجلد الأول، ط١، ٢٠٠٠، ص٥٨٥.

(١٢) ميل تشيرتون، وان براون، علم الاجتماع النظرية والمنهج، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢، ص٢٢ – ٢٣.

(١٣) محمد شفيق، البحث العلمي، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، ط١، ١٩٩٨، ص٨٦.

(١٤) شارلوت سيمور- سميث، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة، إشراف: محمد الجوهري، ١٩٩٨، ص ص ٢٢٠ – ٢٢١.

(١٥) عبد الباسط عبد المعطي، البحث الاجتماعي، محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجية وأبعاده، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٢٤.

(١٦) عدلي علي أبو طاحون، مناهج وإجراءات البحث الاجتماعي: مناهج البحث الاجتماعي – أدوات البحث الاجتماعي – تصنيف البيانات وتحليلها وتفسيرها، الجزء الثاني، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨، ص٢٣.

(١٧) أحمد أبوزيد، البناء الاجتماعي، المفهومات، ١٩٨٢، ص ص ٢١٢ – ٢١٣.

(١٨) علياء شكري، بعض ملامح التغير الاجتماعي الثقافي في الوطن العربي، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب الثالث والعشرون، دار الجيل للطباعة، الفجالة، ط١٩٧٩، ١، ص٢٧.

(١٩) احمد أبو زيد، ألف، مجلة البلاغة المقارنة، الأدب والأنثروبولوجيا في أفريقيا، العدد ١٩٩٧، ١٧، ص ص ٢١٧ : ٢١٩.

(20) leedy, paul: d, practical research planning and design, macmillan pullshing cq, incny, 1974.

(٢١) محمد شفيق، البحث العلمي، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص١٠٠.

(٢٢) غريب محمد سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٤٣.

(٢٣) عبد الهادي الجوهري: علم اجتماع الإدارة، مفاهيم وقضايا: سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب السابع والخمسون، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٧، ص١٣٣.

(٢٤) أحمد أبو زيد، الأنساق والمجتمع والثقافة، أعمال مؤتمر العريش، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩١، ص٢٩.

(25) Peter blou, Richard scott"formal organigation" routledgo&kegam, landan, 1973, p.68..

(٢٦) عبد الباسط عبد المعطي، البحث الاجتماعي: محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٢٦٤.

(٢٧) محمد الجوهري، مناهج البحث الاجتماعي، ٢٠٠٧، ص

(٢٨) يحيى مرسي عيد، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا، الجزء الأول، ط١، الإسكندرية مطبعة الإشعاع الفنية، ٢٠٠٠، ص٣٩٩.

(٢٩) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثالث، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠١، ص١٣٨٨.

(30) Spradley,j participant observation, holt, Rinehart& Winston, London, 1980, 59.

(٣١) محمد الجوهري وعبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص٨٧.

(٣٢) اندروادجار، وبيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩، ص٦٢٢.

(٣٣) أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية في مصر، مرجع سابق، ص٣٥.

(٣٤) محمد الجوهري وعبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، مرجع سابق ، ص١٣٥.

(٣٥) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثالث، المشروع القومي للترجمة، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري وأخرون، ط٢٠٠١، ص ص ١٣٨٩ ــ ١٣٩١.

(٣٦) فاروق إسماعيل، الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٥٣.

(٣٧) شارين هس – بيبر وباتر يشياليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، ١٧٨٣، ط٢٠١١، ١، ص ص ٢٠٠١ ــ ٢١٢.

(٣٨) محمد الجوهري وآخرون ، طرق البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٥٥، ص١٧٥.

(٣٩) أحمد أبو زيد، المجتمعات الصحراوية في مصر، مرجع سابق، ص٤٠.

(٤٠) محمد شفيق، البحث العلمي: الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجماعي الحديث، الإسكندرية، ص١، ١٩٨٥، ص١٠٩.

(٤١) محمد الجوهري وعبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص٣٨٢.

(42) Pelto, perttis& pelto Gretel: Authnoplgical research, cpmbridge university. Press London. 1978, p.72.

(٤٣) فاتن أحمد علي، بعض ملامح التغير في تكنولوجيا الصيد، مرجع سابق، ص٩١.
(٤٤) محمد الجوهري، وعبد الله الخريجي، مرجع سابق، ص٣٧٨.
(٤٥) سعاد السيد عبد الرحيم ، علاقات الجيرة في مدينة مصرية جديدة ، دراسة لمدينة العاشر من رمضان ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة عين شمس، كلية الآداب ، قسم الاجتماع ، ١٩٩٧ ، ص ١٠.
(٤٦) محمد عبد المنعم نور ، أسس العلاقات الإنسانية ، دراسة اساسية للعلوم الاجتماعية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص٢٢٣.
(٤٧) محمد غنيم ، المدينة ، دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ٣٥٩.
(٤٨) السيد عبد العاطي ، الإيكولوجيا الاجتماعية ، مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع ، دار المعرفة الاجتماعية ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٧.
(49) Hellmoen Howard. W. H. "Neighborhood govermment in Metropolitan setting" , Sa G E, pulication , Beverly Hills, 1974 , p 15.
(٥٠) سعاد السيد عبد الرحيم ، علاقات الجيرة ، مرجع سابق ، ص ١٣.
(٥١) غريب سيد أحمد ، ديناميات العلاقات الاجتماعية ، مطبعة كرموز ، الاسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص ٤١.
(٥٢) محمد حافظ دياب ، الاتصال الثقافي بين الجماعة الإثنية ، دراسة ميدانية للجالية الجزائرية في مدينة مرسليا بفرنسا، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٣٢.
(٥٣) محمد حافظ دياب ، الاتصال الثقافي بين الجماعات الأثنية ، مرجع سابق ، ص ١٣٤.
(٥٤) محمد حافظ دياب ، الاتصال الثقافي بين الجماعات الأثنية ، مرجع سابق ، ص ١٣٥
(٥٥) فاروق مصطفي إسماعيل ، الجامعات العرقية ، دراسة في التكيف والتمثيل القافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص ١٢.
(٥٦) فاروق مصطفي إسماعيل ، الجامعات العرقية ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠١ – ٣٠٢.
(٥٧) فاروق مصطفي إسماعيل ، الجامعات العرقية ، مرجع سابق ، ص ١٥٧.
(٥٨) اعتماد علام ، النمو الحضري والمدن الجديدة في المجتمع القطري ، دراسة اجتماعية لواقع النمو الحضري وعلاقات الجيرة ، بمدينة أمسيعيد ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٢٩.
(٥٩) محمد الجهري ، علم الفولكلور ، دراسة في الأنثربولوجيا الثقافية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٣٠٨.
(٦٠) سعاد عثمان ، الجيرة ، دراسة انثروبولوجية لانماط العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي في مجتمع محلي حضري ، رسالة دكتوراه، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦.
(61) Wireman peggy, "urban neighborhoods,NeTworks and Families," ToronTo, LexingTon,book,1984,p.xxi.
(٦٢) فاروق مصطفي إسماعيل ، الجامعات العرقية ، مرجع سابق ، ص ١٦١.
(٦٣) علياء شكري، تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع، دراسة للثبات والتغير الاجتماعي والثقافي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الكتاب الثالث عشر، ٢٠٠٣، ص٢١.